الجمهورية الجزئرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة احمد دراية ادرار-الجزائر
Université Ahmed DRAIA. Adrar-Algérie

جـــامعة احمد دراية- أدرار

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم علوم إنسانية

توسعات محمد علي باشا خلال العهد العثماني 1811 - 1841 م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص تاريخ حديث ومعاصر

اعداد الطالبتين:

- ✓ أسماء سرقمة
- ✓ يمينة سرقمة

اللجنة المناقشة

الأستاذ	الصفة	الجامعة
عبد الكريم بلبالي	مشرفاً	جامعة أدرار
أحمد مولاي	رئيساً ومقرراً	جامعة أدرار
الصافي ختير	مناقشاً	جامعة أدرار

السنة الجامعية: 1435-1436هـ/ 2014 – 2015 م

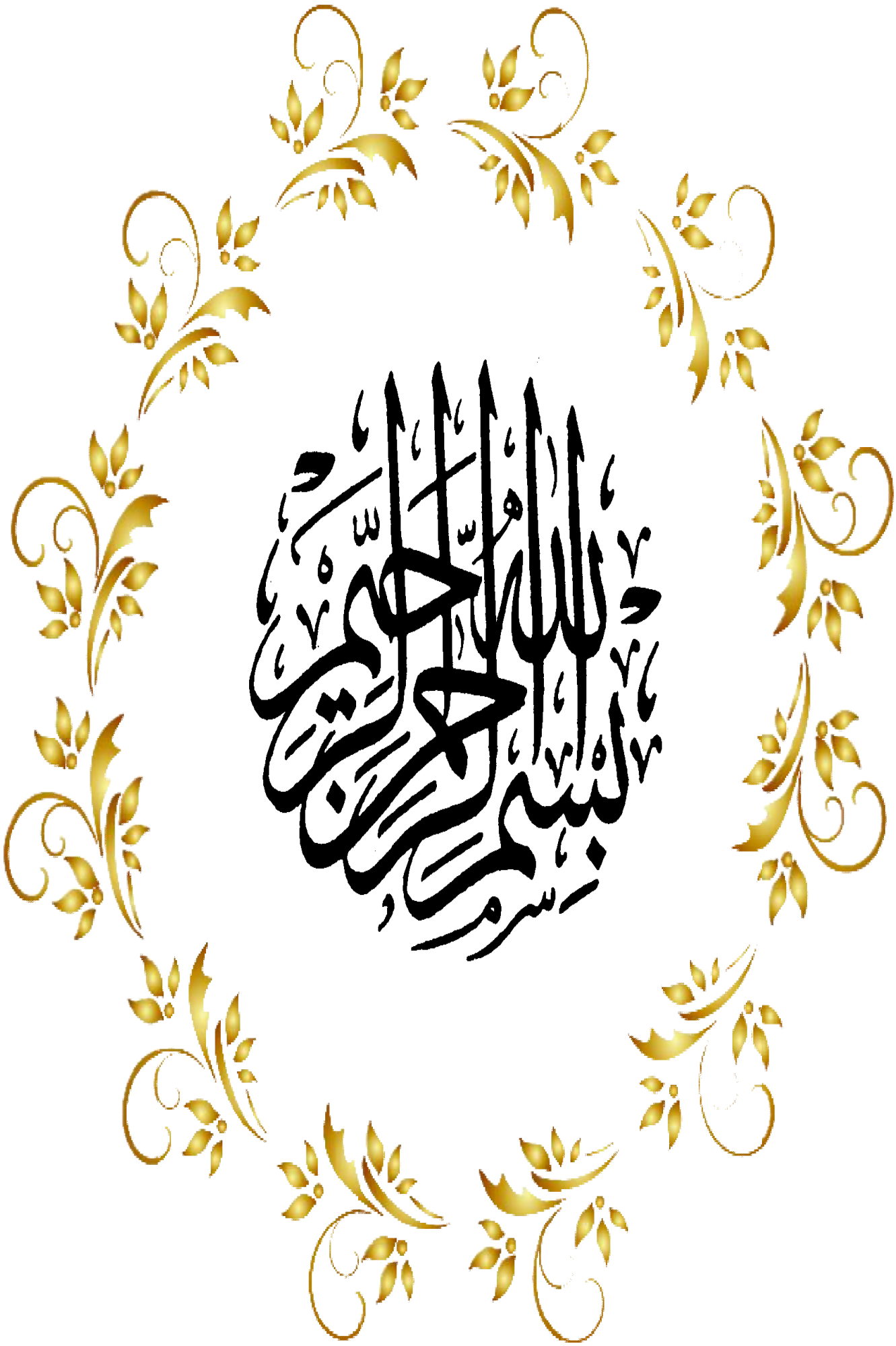
بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أهدي ثمرة عملي المتواضع إلى:

من نزل في حقهما قوله تعالى:﴿ وَ اخْفِض لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ

إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾. سورة الإسراء الآية"24".

إلى الروح الطاهرة.....والدي" **محمد**" تغمده الله برحمته الواسعة.

إلى نبض قلبي ومنبع حناني .....إلى ينبوع الأمل والصبر التي لم تبخل علي يوما بالدعاء

إلى الشمعة التي تحترق كل يوم لتنير لي درب الحياة..... مثال الصبر **أمي الغالية**

أطال الله في عمرها.

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله.....إلى من أثروني على نفسهم.....إلى القلوب الطاهرة

إلى القلوب الدافئة والشموع المضيئة.....إلى رياحين حياتي إخواني:"**أحمد**"،"**مختار**"،"**حليمة**"،"**رشيدة**"

"**نصيرة**" ، "**أم الخير**" حفظهم الله وسدد خطاهم.....إلى **زوجة أخي وعائلتها الكريمة**

إلى أعمامي:-الحاج الصالح وزوجته وأبناءهم:"**يوزيان**"،"**فاطمة**"،"**دليلة**"،"**نوفيق**"،"**مبلود**"

"**محمد**""**عبد الود وود**"،"**زهراء**".

- إلى عمتي مبروكة أطال الله في عمرها.

- أمبارك وزوجته وأولادهم:"**مبروك**"،"**خضراء**"،"**نوربة**"،"**حسناء**"،"**خالد**".

إلى روح عمتي"**حسنية**"وأبناءها كلا باسمه. إلى روح خالي"**مولود**"وأبناءه كلا باسمه.

إلى خطيبي الغالي "**جمال**" وعائلته المحترمة.

إلى رمز البراءة:"**يعقوب**"،"**خولة**"،"**محمد**"،"**حدبقة**"، "**نسنيم**"،"**سلطانة**"،"**عادل أمين**"،"**هبة الرحمان**"،"**المهدي**".

إلى من انطلقنا سويا، وواجهنا الصعاب سوياً وصبرت معي في إنجاز هذا العمل المتواضع أختي"**أسماء**" .

إلى كل من جمعتني بهم الأقدار وسنين الدراسة خصوصاً من رافقوني مشواري الجامعي صديقاتي : "**أسماء**"،"**يمينة**".

إلى الأستاذ المحترم"**بلبالي عبد الكريم**"

إلى العائلات **سرغمة** ،**نونصير**.

يمينة

إهداء

أهدي ثمرة سنوات الكد والاجتهاد

إلى من قال الله فيهما ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ

وَقُل رَّبِّ إِرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ سورة الإسراء الآية 24.

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء.....إلى من أحاطني بعطائه وشغفني حبه.....إلى الذي وفر جهده وماله

لأجلي.....**أبي العزيز**.

إلى من أوصى بها الرسول ينبـــوع الحنان.....إلى من حاكت سعـــادتي بخيوط منسوجة من قلبـــــها

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء.....**. أمي الغالية**.

إلى الذين جمعتني بهم صلة الرحم وشاركوني الحياة حلوها ومرها إخوتي"**الزهراء، عائـــــشة ، نجاة، زهيـــــة،**

خيرة، أمحمد، عبد الله، يوسف. لله

إلى القلب الدافئ والشمعة المضيئة..... إلى من ظل يحفزني على استكمال هذا المشوار ومواصلة الجهد

"زوجي الحبيب"

إلى أعمامي و أخوالي وأزواجهم

إلى جميع الصحبة والخلان: **أسماء . يمينة**

إلى من انطلقنا سويا....وواجهنا الصعاب سويا..... ووصلنا إلى منبع الخير سويا.....إلى من قاسمتني هذا

العمل.....**يمينة**.

إلى كل الأقارب **سرقمة. داوعلي. مزاولي**

إلى الذي تبنى الإشراف وتحمل معنا مسيرة العمل .....الأستاذ **بلبالي عبد الكريم**.

"جزاه الله عنا كل خير"

إلى **كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي**

أسماء

شكر وعرفان

قال تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ سورة إبراهيم الآية:09

ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

الشكر لله الواحد القهار الذي وهبنا الصبر وحسن التدبير ووفقنا إلى إتمام هذا العمل فلله الحمد والمنة.

وعرفانا بالجميل نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المحترم: بلبالي عبد الكريم الذي قبل الإشراف على البحث منذ كان فكرة، فخطة، فبحث والذي أرشدنا بتوجيهاته القيمة فكان لنا نعم المعين والمساعد

"سدد الله خطاه"

وشكرنا موصول إلى جميع الأساتذة الذين لم يضنوا علينا بتوجيهاتهم وإرشاداتهم

"جزاهم الله عنا كل خير"

كما لا ننسى توجيه شكرنا إلى أساتذة و عمال قسم التاريخ بالجامعة الإفريقية أحمد دراية.

وإلى جميع زملائنا في دفعة الماستر تخصص تاريخ حديث ومعاصر.

أسماء يمينة

مقدمة

شهدت مصر في مطلع القرن التاسع عشر أوضاعا متدهورة نتيجة تعرضها للحملة الفرنسية في 1798م بقيادة نابليون بونابرت، وإثر جلاء هذه الحملة بضغط من الإنجليز والعثمانيين إنفجر الصراع بين القوى المحليةالتي كانت قد اتحدت مصلحيا ضد الوجود الفرنسي، وفي خضم هذا الصراع كانت الحركة الوطنية المصرية تسعى للتخلص من القوى الدخيلة المتمثلة في المماليك والعثمانيين، وبدأت ت بحث عن حاكم يتولى شؤون البلاد فتزعم هذه الحركة أولا بعض علماء الدين إلى أن ظهر محمد علي كشخصية فذة في أسوء حالات الحكم والتدهور الإجتماعي والإضطراب السياسي، فتمكن من أن يفرض نفسه كنقطة لإلتقاء قوى الحركة الوطنية وأن يوظف صراع القوى المحلية لصالح وصوله إلى السلطة.وبعد أن استقر له الحكم شرع في القيام بإصلاحات شملت شتى الميادين من أجل النهوض بالبلاد على أسس حديثة.

تعرضت الدولة العثمانية للعديد من الأزمات الداخلية منها والخارجية، ما جعلها تلجأ الى طلب المساعدة من محمد علي، هذا الأخير الذي استطاع أن يحرز بعض الإنتصارات.

إلا أن هذه الانتصارات حركت أطماع محمد علي الأمر الذي جعله يخوض حروب متواصلة في البر والبحر لسيطرة على أجزاء شاسعة من المشرق العربي منها الجزيرة العربية، وبلاد الشام فضلا عن السودان الشرقي واليونان وأجزاء من الأناضول لتيوسع رقعة حكمه، لكن توتر العلاقة بينه وبين الدولة العثمانية التي دخلت معه في حروب خرجت منها منهمكة القوى حالت بينه وبين تحقيق أطماعه، حيث سارعت الدول الأوروبية إلى مساندة الدولة العثمانية لتحقيق أطماعها في ممتلكات الدولةالعثمانية، فقد وجدت في محمد علي وبروزه الإقليمي عائقا كبيرا أمامها في فرض سيطرتها السياسية والإقتصادية في المنطقة.

وهذا ماكان يدور حوله موضوع بحثنا، فقد حددنا فترة الدراسة من 1811م إلى 1841م كون هذه الفترة تعتبر نقطة تحول في التاريخ المصري الحديث وذلك من خلال المشروع الإصلاحي الدي قام به محمد علي والتوسعات التي خاضها.

إشكالية البحث:

من خلال بحثنا هذا نحاول الإجابة على إشكالية محورية هي: هل استطاع محمد علي من خلال توسعاته إقامة دولة عربية مستقلة؟

تندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات أهمها:

-فيما تمثلت الجهود التي قام بها محمد علي من أجل النهوض بمصر؟ وما هي الحروب التي خاضها لتوسيع مناطق نفوذه؟

- إلى ما كان يرمي محمد علي من هذه التوسعات؟هل لتنفيذ أوامر السلطان العثماني؟ أم لتحقيق حلمه المتمثل في إقامة دولة عربية؟

دوافع إختيار البحث:

لقد إجتمعت عدة عوامل شجعتنا على دراسة موضوع توسعات محمد عليخلال الفترة العثمانية من بينها:

- الرغبة في دراسة هذة الحقبة الزمنية وما شهدته من أحداث تاريخية مهمة
- التطلع لمعرفة شخصية محمد علي وأهم الإنجازات التي حققها.
- محاولة معرفة الأسباب التي دفعت محمد علي إلى القيام بتوسعاته في بلدن المشرق العربي وبالأخص الجزيرة العربية والسودان والشام.
- ندرة الدراسات التي تناولت الموضوع.

أهدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعرف على شخصية محمد علي ودوره في تحديث مصر، إضافة إلى التعرف على السياسة التي أنتهجها وما هي أسبابها ودوافعها، فضلا عن دراسة الوقائع التاريخية التي مرت بها كلا من شبه الجزيرة والسودان واليونان والشام في ظل هذه التوسعات.

الدراسات السابقة:

واجهتنا بعض الدراسات التي سبق وإن كتبت عن توسعات محمد علي أمثال : عبد الرحمن الرافعي في كتابه عصر محمد علي، حيث تناول الكاتب الموضوع بتفصيل دقيق للإحداث في حين اقتصرنا في دراستنا نحن فقط على أهم الأحداث البارزة، وكذلك السيد فرج حروب محمد علي، هذا الكتاب يتقارب مع دراستنا إلا أنه لم يتطرق إلى المرحلة الثانية من مراحل توسع محمد علي في الجزيرة العربية، كما أهمل مواقف الدول الأوروبية من هذه التوسعات.

صعوبات البحث:

وأثناء مسيرتنا في مجال البحث واجهتنا صعوبات منها:

- ندرة المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة بالتحديد.
- قلة الدراسات السابقة للموضوع إلا ما قد عولج في جزئيات ضئيلة.

لكن بالرغم من هذه الصعوبات التي لابد أن تعترض أي باحث استطعنا تخطيها.

مناهج البحث:

أما المناهج التي أعتمدنا عليها في هذا البحث هي:

- المنهج التاريخي الوصفي لوصف الأحداث التاريخية وصفا كرونولوجيا.
- المنهج التحليلي الذي أستخدمناه في دراسة و تحليل المادة الخبرية وإعتماد الموضوعية دون التحيز لطرف معين على حساب الأخر.

خطة البحث:

للإلمام بجوانب الموضوع المختلفة اتبعنا الخطة القائمة على مقدمة، ثلاث فصول مقسمة إلى مباحث:فالفصل الأول أفرد للحديث عن محمد علي وبناء دولة مصر الحديثة معرجين في ذلك على تولي محمد علي بمصر وكيفية توطيد حكمه، فضلا عن الإصلاحات التي قام بها. وخصصنا الفصل الثاني لتوسعات التي قام بها محمد علي بداية من توسعه في الجزيرة العربية، ثم في السودان وبعدها في اليونان، وأخيرا توسعه في الشام. وكان حديثنا في الفصل الثالث عن ردود الفعل المحلية والدولية من توسعات محمد علي مسلطين الضوء على موقف الدولة العثمانية من هذه التوسعات وكذا مواقف الدول الأوروبية، وفي الأخير تطرقنا إلى التسوية الدولية وانسحاب محمد علي.

وجاءت خاتمة الدراسة مبرزة لأهم ما توصلنا إليه من نتائج واستنتاجات، كما ألحقنا البحث بمجموعة من الملاحق لإثراء وكشافات إيضاحية للأماكن والأعلام.

أهم المصادر والمراجع:

ولدراسة فصول الدراسة استعنا بجملة من المصادر والمراجع كان لها الدور الكبير في إثراء الموضوع والبحث من جوانبه المختلفة منها:

- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج4 والذي اعتمدنا عليه في أضفاءبعض المقولات التي وردت عن محمد علي وعلماء الدين كون الجبرتي شاهد عيان على ما تم في تلك الفترة
- عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي الذي تحدث بكل تفصيل عن توسعات محمد علي والأهداف التي كان يرمي إليها من ذلك.

بالإضافة إلى مراجع أخرى أهمها:

- محمد عرابي نخلة، تاريخ العرب الحديث حيث ساهم هذا الكتاب في وضع الخطط العريضة للبحثبالتعريف بالظروف التي تولى فيها محمد علي الحكم وإصلاحاته وتوسعاته.
- نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث الذي اعتمدناه في إبراز موقف الدولة العثمانية والدول الأوروبية من توسعات محمد علي.
- إلياس الأيوبي، محمد علي سيرته وأعماله وأثاره الذي ساعدنا في التعريف بشخصية محمد علي ومحطات حياته بالتفصيل.

الفصل الأول

محمد علي وبناء دولة مصر الحديثة

المبحث الأول: تولي محمد علي الحكم في مصر

المبحث الثاني: توطيد محمد علي الحكم بمصر

المبحث الثالث: إصلاحات محمد علي

الفصل الأول: محمد علي وبناء دولة مصر الحديثة

في نهاية القرن الثامن عشر عمت الفوضى وعدم الاستقرار في مصر خاصة في الجانب السياسي والعسكري وذلك بسبب تنازع المماليك مع العثمانيين على السلطة، وفي خضم هذه الظروف شهدت مصر قدوم الحملة الفرنسية 1798م التي لم تدوم أكثر من ثلاث سنوات وبضع شهور حتى تمكن العثمانيين والإنجليز من إخراجها في 1801م.

وإثر رحيل تلك الحملة دخل المماليك والعثمانيين والإنجليز في صراع على الحكم، هذه الأحداث مهدت الطريق لظهور محمد علي الذي تمكن بدوره من الوصول إلى الحكم والقيام بإصلاحات في مختلف الميادين لبناء مصر على أسس حديثة.

المبحث الأول: تولي محمد علي الحكم في مصر

برز محمد علي على رأس الحامية الألبانية، التي جاءت إلى مصر *من أجل محاربة الفرنسيين وطردهم منها، فكان لهذه الشخصية أثرها في تغيير مجريات الأحداث في مصر العثمانية، الأمر الذي جعلنا نتطرق في هذا المبحث إلى نشأة محمد علي وكيفية وصوله إلى سلطة مصر.

1. **نشأة محمد علي:**

ولد محمد علي في جانفي 1769م بمدينة قوله**وهو تركي عثماني مسلم،كان اسم والده"إبراهيم أغا" وأما اسم أمه – بفضل العادات الشرقية التي كانت تأبى على المرأة أن يعرف اسمها خارج بيتها – فإن التاريخ جهله. فقد محمد علي والده وهو في ريعان شبابه، فكفله عمه "طوسون "نائب الوالي، وخلال هذه الفترة مارس العديد من الأعمال ولما توفي عمه كفله حاكم قوله "إسماعيل الشوربجي" ورباه في بيته مع ابنه.

تعرف محمد علي على رجل يدعى "المسيوليون" كان على رأس محل تجاري في قوله منذ عام 1771م فأثر انتباه هذا الأخير ذكاء محمد علي وحسن حكمه على الأمو ر، فأحبه وأخذ يزوده بالنصائح والإرشادات الثمينة وكان لحب هذا الفرنسي أثر عميق في قلب محمد علي جعله منذ ذلك الحين ميالا إلى الفرنسيين أكثر منه إلى أي جنسية غربية أخرى.[1]

* – تقع شمال شرق قارة إفريقيا، بين دائرتي خط عرض23 شمالاً و22جنوباً. يحدها من الغرب ليبيا، ومن الجنوب السودان، ومن الشمال الشرقي فلسطين ومن الجنوب الشرقي البحر الأحمر، الذي يفصلها عن كل من الأردن، والسعودية، وتمر عبر أراضيها قناة السويس، التي تفصل الجزء الأسيوي منها، عن الجزء الإفريقي. أنظر: الهادي قطش، عبد الرحمان أحمد إدريس، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، 2013م، ص109.

** – بلدة قديمة من بلاد مقدونيا واسمها عند اليونان نيابوليس أي البلدة الجديدة، واقعة على بحر جزائر الروم بميناء متسع، يبلغ سكانها حوالي 8الآف نسمة من المسلمين وتبعد مقدار 128 كم عن مدينة سلانيك جنوبا. أنظر: محمد فريد المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط1 دار النفائس، بيروت، 1989 م، ص390.

[1] – الياس الأيوبي، محمد علي سيرته وأعماله وآثاره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص12.

تعلم محمد علي شؤون دينه وأعمال الفروسية كركوب الخيل واستعمال السلاح، ولما ترعرع انتظم في سلك الجهادية واشتهر في عدة أعمال بحرية ضد القراصنة الصليبيين لتعقب اللصوص أو لتحصيل أموال الدولة.[1] فكبرت منزلته وعلت مكانته في عين السلطان العثماني، وبات مجرد النطق باسمه يلقي الرعب في قلوب قطاع الطرق الأمر الذي جعل السلطان يعهد إليه بقيادة أسيطيل لمطاردة قرصان البحا ر، فتمكن من القضاء عليهم في بحر "مرمرة" وبحر "الأرخبيل" ما جعل السلطان يقلده وظيفة سامية في بلاطه، لكن محمد علي فضل العودة إلى بلاده والإقامة فيها.

ولما بلغ 18 من عمره زوجه "الشوربجي" من قريبة له رزق منها ب 05 أولاد، منهم ثلاثة ذكور سماهم "إبراهيم" و"طوسون"و"إسماعيل"إكراما وذكرى لإبراهيم أبيه، وطوسون عمه، وإسماعيل الشوربجي المحسن إليه بالإضافة إلى الذكور ورزق ببنتان.[2]

اشتغل محمد علي في ميدان التجارة وبالخصوص صنف التبغ، حيث برع في ذلك المجال حتى اكتسب شهرة واسعة وثقة لدى عملائه، وكان قد ذاق لذة التجارة وأحبها منذ كان يتردد على شخص اسمه "ليون" أحد وكلاء المحل التجاري بمرسيليا مسقط رأسه، وظل يتعاطى تلك التجارة إلى سنة 1801م إلى حين استدعاه السلطان العثماني لإخراج الفرنسيين من مصر.[3]

2. وصول محمد علي إلى السلطة:

شهدت مصر حالة من الفوضى والاضطراب عقب خروج الفرنسيين منها، فقد سيطرت على البلاد ثلاث قوى تتصارع فيما بينها لتنفرد كلا منها بالسلطة والنفوذ وهذه القوى هي:الدولة العثمانية، بكوات المماليك وإنجلترا ، حيث ستلعب كل واحدة منها دورا حسب ما تتيح لها الظروف.[4]

وإذا تناولنا كل قوة على حدى نجد أن:

– العثمانيين قد رغبوا في أن يستقلوا بحكم مصر دون المماليك ولكنهم لا يملكون القوة لتحقيق أغراضهم فدبروا المؤامرات للقضاء على المماليك أو تشتيتهم في الولايات العثمانية الأخرى، لكن هذه المؤامرات فشلت بسبب تدخل الإنجليز وبدأ النزاع المسلح بين المماليك والعثمانيين.

– أما المماليك فكانوا يرون بأن نصيبهم في قتال الفرنسيين يؤهلهم لأن يستعيدوا المركز الذي حرمهم منه الفرنسيون في عام 1798م. ولكن سنة 1801م – عام خروج الفرنسيين من مصر –كان موقفهم يختلف كثيرا عن

[1]– محمد غربال شفيق، محمد علي الكبير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص12.

[2]–إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص ص12 – 14 – 16.

[3]– ذكي فهمي، صفوة العصر في تاريخ ورسوم مشاهير رجال مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص26.

[4]– محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، [د ن]، [د م]،1998م، ص 38.

موقفهم عند مجيء الحملة الفرنسية بقيادة "نابليون" *، فقد حطمت الحملة الهيبة التي كان يتمتع بها المماليك في أعين المصريين، وقضت الحرب على عددا كبيرا منهم.

– وفيما يخص الإنجليز فقد بقيت لهم بعد جلاء الفرنسيين قوة قرب القاهرة وأخرى بالإسكندرية، وكانت إنجلترا تخشى ضعف مصر مما قد يغري الفرنسيين بالعودة إلى هذه البلاد مرة أخرى ، ومن ثمة استمروا فيها ما يقارب العامين حتى مارس1803م.[1]

بعد انسحاب الإنجليز تنافس العثمانيون والمماليك على السلطة، فعين العثمانيين"خسروباشا" واليا على مصر في عام 1802م، لكن لم يمضي على توليته سوى عام ونصف حتى ثار عليه الجند الألبان فأضطر للهروب وأصبحت القيادة في يد قائد القوات"طاهر باشا "، لكن هو الأخر لم يستمر سوى سنتين وقتله احد جنود الإنكشارية في 26 ماي 1803 ليتيح الفرصة لتولي محمد علي قيادة القوة الألبانية التي جاءت في بادئ الأمر لمحاربة الفرنسيين.[2]

وبتعيين "احمد باشا" واليا جديدا على مصر أدرك محمد علي أن الأمر بهذا قد خرج من يده فأسرع إلى التحالف مع"عثمان البرديسي"للتخلص من الحاكم العثماني الجديد "أحمد باشا"والزعيم المملوكي المنافس"محمد بك الألفي" الذي عاد من بريطانيا عام 1804م، وبهذا التحالف تمكن محمد علي من طرد الوالي "أحمد باشا" بعد أن حكم يوما واحدا وليلة، فبدأت سلطة محمد علي تظهر في الميدان، وبعد شهر حدث خلاف بين محمد علي والبرديسى الذي أحدثت فداحة ضرائبه ثورة في القاهرة، فأنتهز محمد علي الفرصة لخدمة برنامجه فأنضم إلى المشايخ واتصل بالجماهير وكسب بذلك عطف الشعب وثقة علمائه، وأمر جنوده بمهاجمة المماليك الموجودين بالقاهرة ففروا إلى الصعيد.[3]

تمكن محمد علي من إقناع العلماء والمشايخ بالكتابة إلى السلطان لاختيار"خورشيد باشا"محافظ الإسكندرية واليا، وكان محمد علي يرمي من ذلك إلى تأكيد صلته بالعلماء من خلال حرصه على دورهم في اختيار الوالي

*–ولد في جزيرة كورسيكا عام 1769م من أصل إيطالي، وقد سقطت هذه الجزيرة في قبضة فرنسا بسنة قبل ولادته، أنظر:جفري برون، تاريخ أوربا الحديث، تر: علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، [د م]، 2006م، ص361.

[1]– محمد براج وآخرون، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية حركات النهضة وبناء الدولة الحديثة، ج2، دار الفكر، القاهرة،2008م، ص9.

[2]– زكريا سليمان بيومي، العرب بين القومية والإسلام قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، دار القاهرة، [د م] ،2002م، ص 109.

[3]– هاشم هشام سوادي، تاريخ العرب الحديث 1516 – 1918 من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر، عمان،2010م، ص 138.

وكذلك إظهار ما له من فضل على الوالي الجديد فتصبح له اليد الطولى في البلاد، بالإضافة إلى إقرار مبدأ الأخذ برأي المصريين أمام الباب العالي* حتى يكون ذلك مقدمة لما يخطط له.[1]

اسفرت الحرب بعد ذلك سجالا بين المماليك وجنود محمد علي إلى أن انسحبوا مرة ثانية إلى الصعيد وبمطاردتهم أنهار التحالف القائم بين محمد علي وخورشيد الذي حاول إبعاد محمد علي عن مصر، وفي ذلك الوقت حصل هذا الأخير على تأييد العلماء خاصة نقيب الأشراف السيد "عمر مكرم "، ولما أدرك الوالي أبعاد ما يخطط له محمد علي سعى إلى تقليم أظافره وإبعاده عن البلاد، فاصدر الباب العالي فرمانا يقضي بتعين محمد علي واليا على جدة، لكن ذلك لم يتفق وأطماع محمد علي فرفض تنفيذ أوامر السلطان.[2]

اجتمع علماء الشعب في 12 ماي 1805م بدار الحكمة وحرر الزعماء مطالبهم، فطلبوا بأن لا تفرض ضريبة على المدينة إلا إذا أقرها العلماء واعيان الشعب، وان ينسحب الجنود من القاهرة إلى "الجيزة "، لكن خورشيد رفض تلك المطالب،[3] وفي اليوم التالي ذهب الجميع إلى محمد علي وقالوا له : «إننا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ولا بد من عزله من الولاية. قال ومن تريدون أن تولوا مكانه؟ قالوا لا نرض إلا بك واليا لما نجده فيك من عدل وخير».[4]

امتنع محمد علي في بادئ الأمر حتى لاينسب إليه أنه المحرض على هذه الثورة، ولكن عمر مكرم والشيخ الشرقاوي قلداه خلعة الولاية غير انه أظهر التمنع وقال: « أنا لا أصلح لذلك ولست من الوزراء ولا من أكابر الدولة»إلا أنهم قالوا له جميعا : « لقد اخترناك برأي الجماعة والعبرة » رضي أهل البلاد وجاهروا بخلع خورشيد من الولاية وإقامة محمد علي في النيابة حتى يصله فرمان من السلطان وكان ذلك في 09 جوان 1805.[5]

في هذا الصدد يقول محمد عمار: « كانت هناك القيادة الشعبية التقليدية التي قادت المقاومة ضد الغزو الفرنسي وعارضت السلطان المطلق الذي يريده المماليك والعثمانيين، وجرت عن الإرادة الشعبية، فاختارت محمد علي واليا على البلاد في 1805 ».[6]

من خلال ما سبق ذكره يتبين لنا أن الصراع بين المماليك والانجليز والعثمانيين كان سببا في ظهور محمد علي الذي جاء إلى مصر على رأس القوة الألبانية وما فتئ أن انفرد بباشوية مصر.

---

*- ترجمة لفظية لعبارة تركية هي" باب همايون " وهو عبارة عن ثلاثة أبواب في قصر السلطان الباب الأول عبارة عن مدخل، والباب الثاني توجد به سرايا ومقر السلاطين والوزراء، الباب الثالث وكان يسمى بالتركية" المابين الهمايوني "وهو باب الحريم، أما الاصطلاح الشائع للفظة الباب العالي فيقصد به مقر سلطة الدولة العثمانية. أنظر: زاهية قدوره، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، [د ت]، ص343.

[1]- زكريا سليمان بيومي، المرجع السابق، ص 109 .

[2]-هاشم هشام سوادي، المرجع السابق، ص ص 138-139 .

[3]- عبد الرحمان محمد حسين، نضال شعب مصر من 1798 حتى 1956، منشأة المعارف، الإسكندرية، [د ت]، ص 23 .

[4]- إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص 58 .

[5]- عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي 1516 1922، دار النهضة العربية، بيروت، [د ت]، ص 303 .

[6]-كلثوم بن عراب، خطاب الإصلاح النهضة في القرن التاسع عشر(حمدان خوجة ورفاعة الطهطاوي أنموذجا)، رسالة لنيل شهادة الماجستير شعبة تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة-،2002 م-2003م،ص111.

المبحث الثاني: توطيد حكم محمد علي بمصر

سلطنا الضوء في هذا المبحث على مساعي محمد علي باشا في تثبيت حكمه بمص ر، فلم يكن مجرد الوصول إلى منصب الوالي يشكل نهاية المطاف لطموحاته بل كان بداية لتحقيق المزيد من أحلامه، لكن واجهته منذ البداية عقبات كان عليه الوقوف في وجهها أولها الحملة الإنجليزية التي كانت بقيادة الجنرال "فريزر"، والثانية الزعامة الشعبية أما العقبة الثالثة فهي قوة المماليك.

1. **تصدي محمد علي للحملة الإنجليزية :**

سعى الإنجليز إلى الباب العالي وطلبوا نقل محمد علي إلى ولاية "سلانيك" فلم يقبل علماء مصر بذلك وكتبوا إلى السلطان سليم الثالث* يلتمسون فيه إبقاء محمد علي باشا على مصر.[1]

في هذه الأثناء كان نابليون قد نجح في عام 1806م باستمالة السلطان إلى جانبه في الصراع الدائم في أوربا بين فرنسا من جهة وبريطانيا وحليفتها روسيا التي كانت تهدد أمن الدولة العثمانية من جهة أخرى، الأمر الذي دعا السلطان إلى تثبيت محمد علي في ولاية مصر.

وفي 31 ديسمبر 1806م توفي عثمان بك البرديسي زعيم المماليك ففرح محمد علي بذلك، لكن لم ينتهي أمر المماليك بموت البرديسي إذ راح المنافس الأخر للوالي – محمد بك الألفي– يطلب من بريطانيا المساعدة لقتال محمد علي، فوعدته بريطانيا بإرسال حملة مكونة من 06 آلاف جندي إلى مص ر، لكنه مات قبل أن تصل تلك الحملة وفي هذه الأثناء أضطر محمد علي إلى ترك قتال المماليك في الصعيد إلى بعض أعوانه والعودة مسرعا لمواجهة الغزو الأجنبي.[2]

ذكر الجبرتي حالة البلاد قبيل مجئ هذه الحملة فقال في حوادث ذي الحجة 1221هـ /1807م «شرع أهل الإسكندرية في تحصين قلاعها وأبراجها وكذلك أبوقير، وأرسل نائب محمد علي من يتقيد ببناء قلعة بالبرلس وحصل بمصر قلق ولغط، وغلت الأسعار في البضائع الجلابة وعملوا جمعيات في بيت نائب محمد علي وبيت السيد عمر النقيب واتفقوا على إرسال تلك المراسلات إلى محمد علي بالجهة القبيلة صحبة سكرتيره».[3]

تحركت الحملة الإنجليزية من جزيرة صقلية واتجهت نحو الإسكندرية في 17 مارس 1807م بقيادة الجنرال "فريزر" وضمت 06الاف جندي وحوالي 25 سفينة حربية وفي اليوم التالي تمكنوا من الدخول إليها. لما بلغت القاهرة أنباء احتلال الإسكندرية أخذ زعماء الشعب يجتمعون ويتشاورن، في ذلك الحين كان محمد علي في الصعيد وطلبوا

*–هو ابن السلطان مصطفى الثالث ولد عام 1175هـ، تولى الخلافة سنة 1203هـ ووجهه مزيد عنايته إلى تنظيم الجنود وفي أخر أيام عهده ثار أوجاق الإنكشارية ونهضوا يقتلون بعض رحال الدولة لكونهم وافقوا السلطان على إدخال النظام العسكري الجديد ثم خلعوا السلطان سليم نصبوا مكانه السلطان مصطفى توفي في 1222هـ. أنظر : غرتلو يوسف أصاف، تاريخ بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، هنداوي، القاهرة، [د ت] ص118.

[1]– محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص391.

[2]– محمد عرابي نخلة، تاريخ العرب الحديث، ط1، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريد، القاهرة،2010 م، ص160.

[3]– عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص54.

منه العودة، غير أن عمر مكرم لم ينتظر قدومه وتولى هو بنفسه قيادة المقاومة الشعبية وتنظيمها فطلب من الجماهير التأهب للقتال[1].

وفي هذا الصدد يقول الجبرتي* عن عمر مكرم : «وفيه – يوم 26 محرم –نبه السيد عمر مكرم الناس وحثهم على التأهب والخروج للجهاد فامتثلوا ولبسوا الأسلحة وجمع إليه طائفة من المغاربة وكثير من الأسيوطية وأولاد البلد».[2]

اعتقد الإنجليز بعد دخولهم الإسكندرية أنه بمقدورهم احتلال مصر كلها، من هنا رأى القنصل الإنجليزي "ميست" أنه لا بد من احتلال "الرشيد" و"الرحمانية" بهدف تدعيم سلامة مركز الحملة في الإسكندرية، وعلى هذا الأساس أرسل "فريزر" في 29 مارس قوة من الإسكندرية تتألف من 1400 جندي للإستلاء علي الرشيد، وهناك تعرضوا لهزيمة كبيرة.[3]

أراد "فريزر" أن يمحو آثار الهزيمة فأرسل حملة ثانية تتألف من 2500 جندي بقيادة "وليم ستيوارت" ومجهزة بالمدافع الثقيلة فاحتلت قرية "حماد"–تقع بين جنوبي "رشيد" بين النيل وبحيرة "ادكو"–،كما احتلوا "ربوة أبي مندور" في ضواحي "رشيد" ونصبوا عليها المدافع لدك مدينة رشيد. أرسل السيد "حسن كريت" –نقيب الأشراف في رشيد – الرسائل إلى "عمر مكرم" يطلب المدد، فحث عمر الأهالي على التطوع فاستجابوا إلى ندائه، وأرسل محمد علي حملة تتألف من 4 آلاف من المشاة و 1500 من الفرسان تحت قيادة الكتخدا**، ودارت بين المصريين والإنجليز معركة في "الحماد" يوم 1807/04/12م انتهت بهزيمة الإنجليز، الأمر الذي دفع الجنرال"ستيوارت" إلى رفع حصاره عن "رشيد" والانسحاب إلى "أبي قير"، ومنها إلى "الإسكندرية" عن طريق البحر.[4]

وفي 1807/08/12م التقى محمد علي بالجنرال"شرويروك" مندوب الجنرال "فريزر"ورئيس وفد التفاوض وأبرم الصلح وتم بذلك التوقيع على معاهدة الجلاء.[5]

---

[1]– محمد عصام شارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو الإيطالي، دار التضامن، لبنان،1992م، ص ص 114– 115.

[*] هو عبد الرحمن بن أبي التداني حسن بن برهان الدين ويكنى بأبي العزم،ونسبة الجبرتي المضافة إلى اسمه تعود إلى جبرت الموطن الأصلي لأجداده وهي إقليم ساحلي يقع في غرد ميناء زيلع على البحر الأحمر بالحبشة. أنظر:حسين عاصي، أعلام مؤرخي العرب والإسلام(عبد الرحمن الجبرتي) مؤرخ الصدام الحضاري بين الشرق والغرب في العصر الحديث، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ص35.

[2]– عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج 4، ص 50.

[3]– أحمد إسماعيل ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1997م، ص 232.

[**]– لقب وظيفي ينطق بفتح الكاف وسكون التاء وضم الخاء في التركية، تطلق على الموظف المسؤول والوكيل المعتمد والأمين والنقيب. أنظر: مصطفى بركات الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة ،2000 م، ص 144.

[4]– محمد عصام شاور، المرجع السابق، ص 118.

[5]– السيد فرج، حروب محمد علي، مكتبة السادة الأشراف، [د م]، 1999، ص42. أنظر: الملحق رقم1، ص60.

2. التخلص من الزعامة الشعبية:

عندما بدأت الأوضاع الداخلية في مصر تتغير لصالح محمد علي ، بضعف المماليك ونجاحه في استمالة السلطان ورجال حاشيته أخذ يفكر تفكيرا جديا في التخلص من الزعامة الشعبية والإنفراد بالحكم[1]، لأن هذه الزعامة كانت في السنوات الأولى من حكمه بمثابة سلطة ذات شأن تراقب أعماله مراقبة مستمرة، كما أن زعماء الشعب لم يكونوا على وفاق وإخلاص متبادل ما أدى إلى زيادة الأطماع الشخصية والتنافس بينهم.

فعمر مكرم بسبب المكانة التي حظي بها جعلت زملائه يحسدونه عليها ويدبرون المكيدة لإضعاف مركزه ولم يجدوا سبيلا أقرب إلى تحقيق غرضهم هذا إلا بالتقرب من محمد علي والوقيعة بينه وبين عمر مكرم، فأنتهزها محمد علي للتخلص من الزعماء.[2]

اخلف محمد علي بوعده وتنكر للشروط التي ولى الحكم على أساسها فقاطع الزعماء مجلسه وقالوا: «لا تذهبوا إليه أبدا ما لم يكشف عن هذه الأفعال، فأن رجع عنها وأمتنع عن إحداث البدع والمظا لم عن خلق الله رجعنا إليه وترددنا عليه فإننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور».[3]

أصيب عمر مكرم بخيبة أمل كبيرة لما لحق بالناس من مظالم على يد محمد علي وأضطر إلى مقاطعته حتى لا يظن الناس أنه يسانده على أعماله وتصرفاته، فأعتبر محمد علي ذلك بمثابة تحريض عليه وقال أثناء حديثه مع بعض العلماء:"إنه – أي عمر مكرم – في كل وقت يعاندني ويبطل أحكامي ويخوفني بقيام الجمهور"، فكان يخشى أن يؤلب عمر مكرم الشعب عليه لذلك رأى أن الوقت مناسب كي يضرب ضربته.[4]

في صبيحة يوم الأربعاء 1809/08/09م توجه محمد علي إلى بيت ابنه إبراهيم وطلب حضور القاضي والمشايخ ونقيب الأشراف عمر مكرم، فأدرك هذا الأخير أن المؤامرة قد وصلت إلى دورها الأخير فأمتنع عن إجابة الدعوة وعذر بمرضه، فلم يكن من محمد علي إلا أن أمر بعزله من منصبه ونفيه من مصر، فطلب المشايخ من الباشا أن يمهله ثلاثة أيام وأن يأذن له بالذهاب إلى "أسيوط" مسقط رأسه ، فرفض ذلك وخيره بين النفي إلى "دمياط" أو "الإسكندرية".

علم عمر مكرم بهذا القرار فقال: « أما منصب الرئاسة فإني راغب عنه وأما النفي فهو مطلوبي وأرتاح من هذه الورطة ولكن أريد أن أكون في بلدة لم تكن تحت حكمه، وإذا لم يأذن لي بالذهاب إلى "أسيوط" فليأذن لي بالذهاب إلى "الطور"و"أدرنه"–بطرابلس الغرب–»، غير أن محمد علي أصر على نفيه إلى "دمياط".[5]

---

[1]–محمد محمود السروجي، دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، [د ن]، [د م]،1998م، ص 45.

[2]– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص 81 – 82.

[3]– محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 45.

[4]– نفسه، ص 46.

[5]– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص95– 96– 98.

إضافة إلى نقيب الأشراف الذي تم نفيه أمر محمد علي بتصفية العديد من القادة المعارضين منهم "جرجيس الجوهري" زعيم الأقباط، "محمد المحروقي" نقيب التجار وغيرهما.[1]

هكذا تخلص محمد علي من قوة العلماء بعد أن استخدم بعضهم ضد الأخر فتقلص نفوذهم واختفى دورهم السياسي في الدولة المصرية الحديثة.

3. القضاء على المماليك:

توجه محمد علي لتخلص من المماليك الذين كانوا يتنازعون معه على الحكم، فحاول استمالة الكثير منهم ووسط العديد من بكواتهم من أجل الوصول إلى تسوية ترضي الطرفين، وبعد مناورات استطاع أن ينتزع الصعيد منهم.

بعد عودة المماليك إلى القاهرة واستقرارهم بها أنشق البعض منهم فحاول الباشا أن يرضيهم وأغدق عليهم بالأموال، لكن في سنة 1811م وقعت في يده رسائل للبكوات تفضح خيانتهم وعزمهم على الغدر به والإستلاء على السلطة، فقرر أن يتخلص منهم نهائيا. وجاءته الفرصة لتحقيق هذا الغرض في الوقت الملائم، وبدأ العد التنازلي لتنفيذ خطته، فأذاع نبأ إعداده لإرسال حملة عسكرية إلى الجزيرة العربية بناءا على أوامر السلطان.[2]

اعد محمد علي حفل في القلعة يوم الجمعة أول مارس 1811م لتسليم ولده طوسون الفرمان الذي يقلده قيادة الجيش المتوجه إلى الحجاز لمحاربة الوهاب يين،[3] ودعا إليها المماليك ورجال الدولة وأعيانها وكبار الموظفين العسكريين، وكان الترتيب أن يلبس طوسون خلعة القلعة ثم ينزل من القلعة في أبهته وموكبه مخترقا شوارع المدينة ليصل إلى معسكر الحملة في القبة.[4]

لما تم الحفل أذن للحضور بالانصراف فتقدم الإنكشارية ومن بعدهم المماليك ثم الألبانيين وأخيرا فيلق المشاة الذي يقوده الكتخدا نحو باب العزب –باب القلعة من جهة العزب –، فنزل الإنكشارية المنحدر أولا ثم تبعهم المماليك على بعد قليل حتى إذا خرج أخر إنكشاري من الباب، كان الأربعمائة والسبعون أميرا مملوكا يشغلون المنحدر كله، في ذلك الحين أُقفل باب العزب وأُصدرت الأوامر إلى الألبانيين فتراجعوا من وراء المماليك وتسلقوا الصخور المحيطة بالمنحدر، فكمنوا من ورائها من جهتين وفي الحال تقدم فيلق المشاة وانتشر على الأسوار وبدأوا بطلق المدافع فما شعر المماليك إلا والرصاص يتناولهم من كل جانب وهم لا يستطعون الدفاع عن أنفسهم.

---

[1]– نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث و المعاصر، ط1، دار الفكر، عمان، 2010م، ص74.

[2]– سهير حلمي، أسرة محمد علي، مكتبة الأسرة، [د م]، 2003م، ص 75.

[3]– محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 407.

[4]– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 108.

تكدست في الممر الضيق جثث المماليك أما البعض منهم الذين كانوا على رأس المنحدر توجهوا إلى داخل القلعة فقام جنود الألبان بالقضاء عليهم ولم ينجو منهم إلا واحد فقط اسمه "أمين بك" الذي فر إلى البساتين ومنها إلى سوريا.

لما سمع المماليك الذين كانوا لا يزالون في الصعيد أنباء الكارثة أرسلوا إلى محمد علي يطلبون منه أن يعين لهم المكان الذي يختاره لإقامتهم لكن هذا الأخير أرسل لهم جيشا يطاردهم من البلاد مما أدى بهم للإقامة بـ"دنقلة".[1]

يعتبر ما قام به محمد علي في مذبحة القلعة بمثابة تطهير البلاد من عقبة –المماليك– كانت تقف عائقا في طريق ما كان يعتزم القيام به في مصر، لأنهم كانوا مصدر لشغب والفوضى التي كانت تحول بينه وبين إرسال جيشه خارج حدود مصر.

في حين يرى البعض أن هذه الحادثة تعتبر من أبشع الجرائم التي قام بها، فأثارها لم تقتصر على المماليك فحسب بل بثت الفزع والرعب في قلوب المصريين، فلم يجرؤ أحدا بعدها على معارضة أحكامه طوال فترة حكمه.

ومن الملاحظ أن محمد علي سعى إلى تحقيق معظم المشاريع التي كان يخطط لها متبعا الحيلة والخداع والمكر، فكان يعمل على ضرب الفرقاء بعضهم ببعض والانحياز إلى جانب الفريق الأقوى واستغلال الأشخاص ثم التخلص منهم بعد تحقيق أهدافه.

المبحث الثالث: إصلاحات محمد علي

بعد أن أحكم محمد علي قبضته على الحكم في مصر اتجه إلى بناء الدولة على أسس حديثة، متبعا في ذلك عدة إجراءات أو إصلاحات شملت مختلف الميادين منها الإصلاحات الإدارية، العسكرية، الثقافية والاقتصادية.

1. **الإصلاحات الإدارية** :

كانت الإدارة المصرية قد وصلت إلى درجة كبيرة من الاضطراب عندما تولى محمد علي الحكم ، فأهتم بتنظيم تلك الإدارة بما يكفل له السيطرة الكاملة على شؤون البلاد. كما قسم البلاد إلى سبع مديريات يتبع كل مديرية عدد من المراكز، وهذه الأخيرة تنقسم بدورها لعدة أقسام، والأقسام إلى قرى.[2]

ويرأس المأمور المركز والناظر القسم والشيخ القرى، أما "القاهرة"،"دمياط"، "رشيد"،" السويس" و"الإسكندرية" فيحكمها حاكم.[3]

ألف الوالي مجلسا للحكومة أسماه "الديوان العالي" ومقره القلعة ثم كون في سنة 1824م مجلسا سماه " المجلس العالي" يتألف من مدراء الدواوين ورؤساء المصالح واثنين من العلماء يختارهم شيخ الأزهر واثنين من التجار يختارهم كبير التجار وغيرهم، لكن محمد علي سرعان ما وجد أن تلك المجالس لا تؤدي واجبها على الوجه المطلوب فأمر

[1]–إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص ص85 – 86 – 90– 100.

[2]– شوقي الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص 114.

[3]– مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، دار أسامة، عمان،2003 ، ص 190.

بإلغائها وتركيز العمل في الدواوين،كما أصدر اللائحة الإدارية المعرفة بالقانون الأساسي"قانون نامة"في جوان 1837م[1]، وقد حصر هذا القانون السلطة في سبعة دواوين (وزارت) هي:

أ/ ديوان الخديوي (وزارة الداخلية): يختص هذا الديوان بالشؤون القضائية التي لا تدخل ضمن اختصاص المحاكم الدينية والتجارية،كما يتولي شؤون الشرطة ومسائل الأسواق والتموين ويشرف على 19 إدارة مختلفة من دوائر الدولة المهمة بشؤون البلاد الداخلية.

ب/ ديوان الجهادية (وزارة الحربية): يختص بشؤون الجيش ويتولى الإشراف عل ى المؤسسات التابعة للجيش من مستشفيات وورش لصيانة ومخازن لذخيرة.

ج/ ديوان البحر (وزارة البحرية): يعتني بشؤون البحرية العامة وشؤون الأسطول بشكل خاص ويتولى الإشراف على بناء السفن وإصلاحها والخدمات الأخرى للقوات البحرية.

د/ ديوان المدارس (وزارة التعليم والأشغال العامة): وكانت مهمة هذه الوزارة الإشراف على الشؤون التعليمية والتربوية.

و/ديوان التجارة المصرية(وزارة التجارة و الشؤون الخارجية) : وكانت هذه الوزارة تشرف على العلاقات الدبلوماسية وعلى جباية الالتزامات المالية المبيعات من المنتجات الحكومية وحراسة مخازن الحكومة العمومية.

هـ/ ديوان الفاوريقات " الفابريكات" (وزارة الزراعة و الصناعة): مهمتها الإشراف على شؤون المصانع في القاهرة والأقاليم الأخرى وعلى الصناعات في أنحاء مصر.[2]

استطاعت حكومة محمد علي السيطرة على كامل التراب المصري، وقد نجح هو بنفسه في إدارة جميع حلقات جهاز الدولة، وبذلك نجح في تحقيق مشروعه لتحديث الحياة الإدارية بمصر على النمط الأوروبي ، غير أنه اعتمد في توزيع المناصب العليا والمهمة على أولاده وعلى أفراد عائلته وأتباعه المقربين.[3]

2. الإصلاحات العسكرية :

رأى محمد علي أن تثبيت حكمه في مصر وخارجها لا يتم إلا بتعزيز المؤسسات العسكرية وإنشاء جيش نظامي على أسس حديثة، وشعر بأهمية التدريب العسكري على نمط أوربي فأعتمد على عدد من الضباط الفرنسيين في ذلك مثل: "جوزيف أنلتم سيف "*، حيث دخل هذا الكولونيل في خدمة محمد علي 1819وعين مديرا لمدرسة المشاق في القاهرة عام1820م. [4]

---

[1]- هاشم هشام سوادي، المرجع السابق، ص 143.

[2]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص ص 174 - 175.

[3]- سيار جميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص 343.

*- يعرف بسلمان باشا تعلم اللغة العربية وأعتنق الإسلام، عين مديرا لمدرسة المشاق في القاهرة عام 1820م.أنظر: مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 183.

[4]- نفسه، ص 183.

انتقى محمد علي تلامذة هذه المدرسة من بين أفراد أسرته وأبناء موظفيه، ثم طلب سيف نقل المدرسة إلى مكان بعيد عن الأهالي ووقع اختياره على "أسوان" لبعدها عن القاهرة وقربها من السودان الذي أصبح مركزا لتجنيد الجيش الجديد، اهتم محمد علي بمسألة الجند الذين يجب إرسالهم إلى أسوان ففكر في تجنيد السودانيين، لكن التجربة لم تنجح واستقر رأيه في النهاية على تجنيد المصريين، غير أنه وجد معارضة من طرف بعض رجال الطبقة التركية البورجوازية الذين سخروا من تجنيد المصريين وحجتهم في ذلك أن الجندية مهنة نبيلة يحط من قدرها أن تصبح في متناول الفلاحين،كما زعموا إن وضع السلاح في يد الفلاحين إنما هو تسليمهم الأداة التي يطردون بها، غير أن الباشا لم يأخذ برأيهم وأقبل على تجنيد الفلاحين المصريين.[1]

كانت فكرة الجندية جديدة على كثير من المصريين ، ففر بعضهم إلى بلاد الشام والجزيرة العربية ولجأ البعض الآخر إلى إلحاق الأذى ببصره أو بجسمه حتى يصبح غير مؤهل لدخول الجندية.[2]

لكن محمد علي أصر على إدخالهم في جيشه حتى أصحاب العاهات، وراح يفتح لهم المدارس الحربية لتدريبهم وتعليمهم فنون القتال المختلفة بأحدث الأساليب الأور وبية، ففتح لهم مدارس للمشاة في مدينة "دمياط "ومدرسة للمدفعية في "طره"القريبة من القاهرة.

في سنة 1829م استعان محمد علي بمهندس فرنسي اسمه "سيريزي" cerise لتطوير بناء سلاح البحرية المصرية وأرسل في الوقت نفسه عددا من أبناء مصر في بعثات لتعلم فن بناء السفن الحربية الحديثة وأمر بإعداد الكوادر الفنية في هذا المجال، وأمر بترجمة الأنظمة العسكرية الفرنسية إلى العربية فأصبحت اللغة العربية هي لغة الجيش والإدارة في مصر.[3]

وصل عدد قطع الأسطول المصري في 1829م إلى 29وحدة و992مدفعا و10آلاف بحار واستورد محمد علي الأخشاب لأسطوله من آسيا الصغرى ومن أوربا وسوريا.[4]

تكون الأسطول المصري على ثلاث مراحل : فمن سنة 1810 م إلى 1829م بدأ ببناء بعض السفن الشراعية لنقل الجند والمؤون والذخيرة إلى الجزيرة العربية لمحاربة الوهابيين، وقد أنشئ الأسطول لأغراض سياسية وتجارية فالمرحلة الأولى في البحر الأحمر وفي البحر المتوسط لأغراض اقتصادية خصوصا لبيع القمح، وفي المرحلة النهائية أصبحت مصر تجلب ما تحتاجه من تجهيزات من الموانئ الأجنبية لبناء ما تريد من سفن أسطولها الحربي ومن أهم هذه الموانئ الإيطالية والفرنسية.

---

[1]- براج محمد وآخرون، الموسوعة الثقافية والأثرية والحضارية- حركات النهضة وبناء الدول الحديثة-، ج2، دار الفكر، القاهرة، 2008م، ص27.

[2]-محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص173.

[3]- نفسه، ص173.

[4]- مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص185.

وعندما تحطمت سفن الأسطول في معركة " نافارين" باليونان أثناء خروج الأسطول لمساعدة السلطان في حربه بدأت مصر مرحلة جديدة في بناء بحريتها فأنشأت حوضا كبيرا في الإسكندرية ولم تعد تعتمد على شراء السفن من الخارج أو التوصية على صنعها، بل اعتمدت في ذلك على دور الصناعة التي جددت وأنشئت في الموانئ المصرية.[1]

3. الإصلاحات الثقافية:

ظهرت الإصلاحات العلمية خلال القرن 19م ويعود للباشا الفضل في نشر التعليم وتطوره، وإعداد المتعلمين للنهوض بمصر على أسس حديثة، فأنشأ المدارس العسكرية والبحرية والإدارية والصناعية.[2]

تأثر محمد علي لرؤية العقول المصرية تضيع هباء، والموارد المصرية يبددها الجهل والفوضى فعوّل على أن ينقذ تلك العقول والثروة، وما دفعه لمواصلة خطته ابتكار أحد المصريين آلة لدق الأرز وتقديمها لمحمد علي، وقد قال الجبرتي في ذلك: «ولما رأى الباشا الآلة قال:إن في أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف، فأمر ببناء معلم يدرسهم فيه قواعد الحساب».[3]

بدأت مبادرة محمد علي في إنشاء المدارس بعدما رأى اهتمام المصريين بالمعارف، فأسس أول مدرسة للهندسة في 1816م، ومدرسة الطب البيطري التي أنشئت أولا "برشيد" ثم نقلت إلى "أبي زعبل "ثم إلى"شبرا" ومدرسة المعادن في القاهرة عام 1834م،كما أسس مدارس أخرى منها: الصيدلة والصنائع والزراعة، وكلها تنتمي إلى ديوان المدارس الذي يشرف عل المؤسسات والأجهزة التعليمية والتربوية، ويقوم بوضع المناهج والقوانين واللوائح وأكتمل النظام التعليمي بين سنتي 1836-1840، حيث بلغ عدد المدارس في مصر 50 مدرسة ابتدائية وثانويتان، الأولى في القاهرة والثانية في الإسكندرية [4]، كما أنشئت "جمعية الشرقية" لدراسة الفنون الشرقية لاسيما اللغة والآثار، إلا أن هذه الجمعية انحلت بعد وفاته.[5]

اتجه الباشا بعد إنشاء المدارس إلى إرسال البعثات العلمية للحصول على العلوم والمعارف في مدارس ومعاهد أوربا وترجمة الكتب من اللغات الأجنبية إلى العربية وطباعتها ونشرها. [6]فأرسل أول بعثة علمية إلى إيطاليا في 1813م، ثم إلى فرنسا في 1818م وكان من بين التلاميذ"عثمان نور الدين أفندي" ، ثم إلى فرنسا ثانية في 1826.

---

[1]- محمد براج وآخرون، المرجع السابق، ص29.

[2]-مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص188.

[3]- محمد غربال شفيق، المرجع السابق، ص61.

[4]- سيار جميل، المرجع السابق، ص349.

[5]- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798- 1914(الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1983م، ص 205.

[6]-مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص188.

وقد بلغ مجموع ما أوفد من طلبة إلى المعاهد الأوروبية بين عامين 1813م إلى 1847حوالي319طالبا وكان لهؤلاء دورا بارزا في حياة مصر العلمية.[1]

يرى بعض المؤرخين أن البعثات التي بعث بها محمد علي إلى الخارج كانت بدافع طموحه حتى قيل عنه أنه عظيم وأنه صانع مصر.[2]

رأى محمد علي أنه لابد من إنشاء المطابع لطبع الكتب المترجمة، فأنشئت "مطبعة بولاق" في عام 1820م وعملت فعليا عام 1822م وتبعتها إسهامات حركة الطباعة في نشر الثقافة الحديثة، وأنشئت في عام 1828م "الجريدة الرسمية " للوقائع المصرية "بالعربية والتركية ووضعت بإدارة جدة عام 1842م تحت إشراف رفاعة رافع الطهطاوي.*

وقد وصل محمد علي حاضر الأمة بغابرها في العلوم الحديثة وذلك باستعمال اللغة العربية وإبقاء التعليم المنتشر في قرى مصر وحواضرها على أوضاعه المألوفة، ولم تعرف أيام محمد علي "الشهادة "مفتاحا وحيدا لدخول معهد ما كما أنها لم تعرف إلا الثقافة العربية الإسلامية في كل مكان أضاف إليها إعدادا فنيا في أماكن معينة.[3]

4. الإصلاحات الاقتصادية :

حاول محمد علي باشا تحقيق الازدهار الاقتصادي والرفاه المادي في مصر، ومن أجل ذلك بدأ يعمل جاهداً على تطوير الزراعة والصناعة والتجارة في البلاد.

ففي مجال الزراعة قام بإدخال أنواع جديدة من المزروعات إلى مصر، خاصة الأنواع الاقتصادية كالقطن والتوت وقصب السكر،كما عمل على مصادرة أراضي المماليك في الفترة مابين 1815م/1809م، إضافة إلى إلغاءه نظام الالتزام في 1809م، وقام بعدها بمسح أراضي مصر الزراعية عام 1813م، وإعادة توزيع قسم منها على الفلاحين وتخليصهم من عبودية ورق الالتزام، إلا أنه طبق عليهم نظام الاحتكار الزراعي وبمقتضاه حدد للفلاحين أنواع المزروعات التي يتوجب عليهم زراعتها في كل إقليم، وكان يقوم بشراء المحاصيل بعد نضوجها بالسعر الذي يحدده هو وبذلك حققت حكومته الكثير من العوائد المالية على حساب الفلاحين والفقراء.[4]

في بادئ الأمر لم يسمح محمد علي بتكوين ضياع خاصة حتى لا يؤدي ذلك إلى قيام طبقة مالكة تتحدى سلطته، وبقي يعد نفسه مالك لمعظم أراضي مصر، ولكن بعد مدة تأكد بعدم صلاحية نظام الإشراف المباشر على

---

[1]- علي المحافظة، المرجع السابق، ص209.

[2]- ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981م، ص34.

*ولد بمديرية جرجا عام 1801م أبوين فقيرين، التحق بكتاب القرية ثم سافر إلى القاهرة والتحق بالأزهر تتلمذ على يد الشيخ حسن العطار وفي البعثة الأولى التي أرسلها محمد علي إلى فرنسا اختير رفاعة أن يكون إماما للبعثة. أنظر: صلاح أحمد هريدى، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر 1220هـ/1805م -1300 هـ/1882م،ج2، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2000م، ص326.

[3]- محمد غربال شفيق، المرجع السابق، ص64.

[4]-محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص17.

الزراعة. لذلك قرر أن يحيط نفسه بطبقة ارستقراطية من ملاك جدد يدينون له بالولاء، فقام بتوزيع الأراضي الغير مسجلة في السجلات العقارية والمعفاة أحيانا من الضرائب على أفراد أسرته وسميت بـ"الجفالك" وتعني بالتركية أرض ملك، أما الأراضي التي وزعها على القواد وكبار الموظفين، سميت بإبعاديات وذلك لأنها مستبعدة من المسح الذي أنجز سنتي1814م/1813م للأراضي الزراعية.[1]

إن أنظمة الاحتكار التي قام بها محمد علي أدت إلى فرار الكثير من الفلاحين من قراهم بحثاً عن رزقهم في المدن وخارج مصر،م ما أضطره إلى أن يصدر أوامر إلى مشايخ البلدة بضرورة البحث عن أولئك الفارين وإعادتهم إلى البلاد.[2]

أما فيما يخص الصناعة فقد رأى والي مصر أنها عصب الدولة ومصدر قوتها فكان لابد من الأخذ بسياسة التصنيع لإمداد الجيش والأسطول بما يحتاجهما من السلاح والملابس والسفن ومواد البناء وغيرها.[3]

في أفريل 1814م دعا محمد علي العمال في كافة الاختصاصات إلى التعاقد معه في مالطا وأمر وكلاءه في العواصم الأوروبية بالتعاقد مع عمال متخصصين في الصناعة، وقد تدرب على أيدي هؤلاء عمال مصريين متخصصين في صناعة الحرير والنسيج والسكر والألبان والدباغة والورق والمنتجات الكيماوية.

وقد برز رجلان فرنسيان اعطيا الغزل والنسيج في مصر شهرة كبيرة وهما الميكانيكي"جيسيب بوكثي" الذي شغل مدير مصنع النسيج، والمهندس"جومل بوكثي" الذي أجرى تجارب علي نوع جديد من القطن أدت إلى ازدهار كبير لزراعة هذا القطن.[4]

اهتم محمد علي بإدخال الصناعة الكبرى إلى مصرف أنشأ15معملاً لغزل القطن منها 9 في الوجه البحري و1200معمل تنسج نحو مليوني قطعة من القماش في السنة، وكانت في بولاق معامل للغزل والنسيج في القطر المصري. وكانت هناك مصانع للأقمشة الكتانية منتشرة في مصر خصوصاً في الوجه البحري ومصانع لطرابيش بمدينة "فتوة" وكذلك مصانع لسكر والصابون ومعاصر لزيت منها 120بالوجه البحري و 40 بالقاهرة،كذلك وفر معامل للبارود وتحضير المواد الكيميائية، ومسابك للحديد تقوم بحاجات المدفعية والبحرية 03 معامل للأسلحة القابلة للحمل. ومما يؤسف له أن هذه الصناعات المختلفة التي برع فيها الآلاف من المصريين كانت حياتها متوقفة على جيش الدولة لأن حاجيات الشعب في الواقع كانت محدودة فبعد معاهدة لندن آل أمرها إلى الاضمحلال.[5]

[1]- هاشم هشام سوادي، المرجع السابق، ص145.

[2]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص179.

[3]- محمد براج وآخرون، المرجع السابق، ص56.

[4]- شحادة الناطور وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، اربد: دار الأمل ، 1992م، ص ص 85- 86.

[5]- محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، سرط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926م، ص 53.

أما التجارة فقد احتلت اكبر نصيب من اهتمام الباشا، وكان لابد لمشروعات التنمية الاقتصادية في الزراعة والصناعة أن تكملها سياسة تجارية نشطة، فاتجه الباشا إلى ما يسمى بتتجير الزراعة وحماية الصناعة من ناحية أخرى.[1]

كما انتهج محمد علي ما اتبعته حكومات أخرى في ذلك الوقت وهو العمل بالمبدأ التجاري وقوامه الإقلال من الواردات والعمل على زيادة الصادرات ولنجاح ذلك أتبع سياسة الاحتكار ومراقبة الدولة للتجارة الداخلية والخارجية. وقد سمى الجبرتي هذا الاحتكار بالتحجير فقال: « إن من الحجر على الزارع التي يزرعها الفلاحون في الأراضي يدفعون خراجها من الكتان والسمسم والنيلة والقطن وإذا بدا صلاحه لا يبيعون منه شيء كعادتهم وإنما يشتريه الباشا بالثمن الذي يفرضه على يد النواحي والكشاف ويحملونه إلى المحل الذي يأمرون بحمله إليه ويعطى لهم الثمن أو يحسب لهم من أصل المال، فإذا احتاجوا لشيء من ذلك اشتروه بالثمن الزائد المفروض وكذلك القمح والفول والشعير لا يبيعون منه شيئا لغير الباشا بالثمن المفروض».[2]

فالزراعة لم تعد مقصورة على إنتاج المواد اللازمة للاكتفاء الذاتي وإنما تعدت ذلك إلى إنتاج المواد الأولية التي تتطلبها الأسواق الأجنبية، وبذلك أصبح الاقتصاد المصري مرتبط بالاقتصاد العالمي.[3]

كما وسع محمد علي ميناء الإسكندرية، وجعله جاهزاً لاستقبال السفن الكبيرة وأصبحت السفن المصرية تنتقل بين موانئ البحر المتوسط والأحمر في حركة تجارية نشطة، وكان والي مصر قد أمر بإعادة افتتاح الطريق البري القديم بين القاهرة والسويس وأقيمت على جوانبه المحطات التجارية.[4]

تمكن محمد علي باشا بفضل جهوده التي بذلها في مختلف الميادين من تكوين جيش نظامي قوي وإقامة حكومة مركزية على أسس إدارية محكمة،كما أبدى اهتمامه بالمجال العلمي وذلك بإنشاء المدارس وإرسال البعثات العلمية إلى الخارج، وفيما يخص المجال الاقتصادي فقد عمل على تطوير الزراعة والصناعة والتجارة الأمر الذي أدى إلى ازدهار البلاد وتحقيق الرفاه المادي.

ومن خلال ما سبق ذكره خلصنا إلى أنه نتيجة للتربية التي حاز عليها محمد علي وسط بلدته أهلته أن يكون ضابط في الحامية الألبانية التي تصدت للحملة الفرنسية أثناء قدومها إلى مصر، وبعد انسحاب هذه الحملة تنازع على السلطة كلاً من الإنجليز والمماليك والعثمانيين، الذين كان كل واحد منهم يسعى إلى الإنفراد بحكم مصر، وفي هذه الأثناء ظهر محمد علي على ساحة الأحداث، وقد ساعده العلماء على الوصول إلى باشاوية مصر، وبعدها لجأ

[1]- عبد الكريم عزت، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ص252 .

[2]- عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق ، ص392.

[3]- محمد براج وآخرون، المرجع السابق، ص66.

[4]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص 180.

للقضاء على حملة "فريزر" التي احتلت الإسكندرية في 17مارس 1807م، ثم تخلص من الزعامة الشعبية وذلك بنفي عمر مكرم إلى دمياط كما قضى على المماليك في مذبحة القلعة 1811م.

بعد أن خلى الجو لمحمد علي في مصر بدأ يعمل للنهوض بالبلاد عن طريق الإصلاحات، ففي الميدان العسكري قام ببناء جيش على أسس حديثة واستعان في ذلك بخبراء فرنسيين خاصة الكولونيل سيف. أما في المجال الإداري فقد أصدر في 1837 قانون "نامه" أعاد بواسطته تنظيم الإدارة،أما في الجانب الثقافي أهتم بإنشاء المدارس مثل مدرسة الطب البيطري برشيد وبلغ عدد المدارس في عهد محمد علي حوالي 50مدرسة وثانويتان، وفيما يخص الجانب الاقتصادي فقد أهتم بتطوير الزراعة وإدخال الصناعات الجديدة .

الفصل الثاني

السياسة التوسعية لمحمد علي

المبحث الأول: توسع محمد علي في الجزيرة العربية1811-1839م

المبحث الثاني: توسع محمد علي في السودان الشرقي1820م

المبحث الثالث: توسع محمد علي في اليونان1821م

المبحث الرابع: توسع محمد علي في الشام1831-1840م

الفصل الثاني: السياسة التوسعية لمحمد علي

بعدما عزز محمد علي سلطته في مصر، قرر التوسع خارجها وتكوين إمبراطورية واسعة تضم بلدان المشرق العربي، وللقيام بمشروعه هذا خاض عدة حروب كانت أولها الحرب ضد الوهابيين في الجزيرة العربية بعد أن أدرك أهمية هذه المنطقة واتجه لضم السودان المصري لقربه من مصر وغناه بالثروات الطبيعية، ليتوجه بعدها نحو بلاد اليونان بأمر من السلطان العثماني للقضاء على الثورة هناك ، وأستكمل والي مصر توسعه بخوض آخر حرب له ببلاد الشام التي كانت تحمي الحدود الشرقية لمصر ولكونها من أغنى أقاليم الإمبراطورية العثمانية.

المبحث الأول: توسع محمد علي في الجزيرة العربية 1811- 1839م

1. أسباب توسع:

اختلفت الأسباب التاريخية والعوامل المباشرة وغير المباشرة في توسعاته وامتداد جيوشه في المنطقة العربية نذكر منها:

1 -طلب السلطان العثماني محمود الثاني من محمد علي القضاء على الحركة الوهابية.

2 -شعور محمد علي بالخطأ الإستراتيجي لانسحابه من الجزيرة العربية في المرحلة الأولى، والتي كانت شواطئها في منطقة تعاني من الضغط البريطاني.[1]

3 -عودة الحكم الوهابي إلى قلب الجزيرة العربية، فكانت المحاولة الأولى لاستعادة آل سعود ما قام به الأمير"مشاري" أخو عبد الله بن سعود الكبير، الذي تنازل له أحد أمراء آل معمر عن الدرعية، لكنه سرعان ما أعدم. أما المحاولة الثانية فتتمثل فيما قام به الأمير تركي بن عبد الله، حيث استطاع القضاء على ابن معمر والدخول إلى الدرعية 1820م، وتمكن من الاستيلاء على "الرياض" بعد محاصرة الجند التركي وإخراجه منها وأتخذها عاصمة الدولة السعودية الثانية. ذلك من خلال تمكن فيصل بن تركي آل سعود من القيام بالدولة السعودية الثانية في سنة 1822م.[2]

4 -رغبة الباشا محمد علي في مواصلة تكوين الدولة العربية المتحدة خصوصا بعد نجاحه في السودان والشام.[3]

2. مراحل التوسع:

أ – المرحلة الأولى1811م–1819م:

كان أول توسع لمحمد علي خارج الديار المصرية نحو الجزيرة العربية بأمر من السلطان العثماني محمود الثاني لإبعاد الخطر المتمثل في الحركة الوهابية التي تنسب إلى محمد بن عبد الوهاب *، حيث أدركت الدولة العثمانية أن نجاح

[1]– محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص185

[2]–مديحه أحمد درويش، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، 1980م، ص56.

[3]– محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص185.

*– هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي ولد عام 1703م في العيينة من بلاد نجد، درس العلوم الإسلامية والشريعة دراسة دقيقة وخاصة علم التفسير عندما ذهب إلى أصفهان من بلاد إيران، وبعد عودته بدأ في استنباط الأحكام، غادر من موطنه إلى الدرعية فقبل بفكرته أميرها محمد بن سعود وانشأ مذهبا خاصا له، فأنتشر في نجد والإحساء و القطيف وغيرهم .أنظر: أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط1، المطبعة العلمية ليوسف صادر، بيروت، 1928 م، ص21. وأنظر: عبد المنعم الهاشمي، الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن الحزم، بيروت، 2004م، ص 445.

تلك الحركة سوف يؤدي إلى فصل الحجاز وخروجه من يدها، وبالتالي خروج الحرمين الشريفين ما يفقدها الزعامة التي تتمتع بها في العالم الإسلامي، في وقت كانت قد بدأت تسعى فيه إلى التغلب على عوامل الضعف الداخلية وتقوية الصلات بينهما وبين أنحاء العالم الإسلامي بوصفها مركز الخلافة الإسلامية، شكلت جميع هذه العوامل حافزا للدولة العثمانية للوقوف في وجه الحركة الوهابية ومواجهتها للحد من انتشارها.

تمثل أول رد فعل عسكري عثماني ضد الوهابين في دعم والي بغداد "سليمان باشا الكبير" لبعض القبائل في عام 1797 م لمقاومتها، لكن الحملة فشلت ونظمت حملة أخرى في العام التالي، لكنها فشلت بدورها كما فشل ولاة دمشق في التصدي لهجمات الوهابيين على فلسطين وجنوبي بلاد الشام ونتيجة لفشل تلك الحملات، وقع اختيار الباب العالي على محمد علي باشا والي مصر للقضاء على هذه الحركة.[1]

لم يكن الأمر قد استتب من جميع نواحيه لمحمد علي في مصر حين دعاه السلطان العثماني للقيام بحملة ضد الوهابيين، في تلك الأثناء كان يصارع خصومه ويعتني بالمسائل الداخلية ويضع النظم والتشريعات التي تنهض بالبلاد ويعد جيشه وما يحتاجه من موارد ومعدات، وكان منشغلاً في حروبه مع المماليك بالصعيد.

فلما وصلته دعوة السلطان محمود الثاني لإنفاذ الحملة إلى الحجاز أخذ يتعذر بما يواجهه من مشاكل حتى وصله رسول الأستانة في سبتمبر 1810م ملحا في الرجاء، فقبل محمد علي وبدأ يستعد لأول حملة خارج الديار المصرية.[2]

قام محمد علي بإرسال حملته الأولى للحجاز بقيادة ابنه "طوسون" فسير جيشا قوامه 14 ألف من المقاتلين في أكتوبر 1811 م، فلحتل طوسون مدينة" ينبع" وقد صور "الجبرتي" ذلك قائلا: « نهبت الحملة ما كان بينبع من الودائع والأموال والأقمشة وسبوا النساء والبنات، وأخذوهن أسرى».[3]

لما سمع سعود بمسير طوسون أرسل ابنه عبد الله مع بعض أهالي نجد والحجاز وتهامة وغيرهم، فنزلوا الحيف المعروف من"وادي الصفراء "فوق المدينة المنورة واستعدوا لمواجهة الجيش المصري.[4]

في 1811م دارت المعركة بين الطرفين، وكان جيش طوسون يلاحق قبيلة "حرب" التي لم يقم معها بعلاقات ودية، فدخل في ممر جبلي ضيق قرب وادي الصفراء وتعرض لضربات قوات الوهابيين التي لم يكن طوسون على علم بوصولها، ففر الجيش المصري البالغ 08 آلاف شخص وفقد طوسون الكثير من جنوده، وكان لعنصر المباغتة عند الوهابيين ولسوء الموقع عند القوات المصرية دورا كبيرا في هزيمة قوات طوسون.[5]

---

[1]– محمد سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب علي الخلافة، ط2، دار النفائس، بيروت، 2008م، ص ص 347– 348.

[2]– السيد فرج، المرجع السابق، ص 45.

[3]– محمد إسماعيل المقدم، خواطر حول الوهابية، ط1، دار التوحيد للتراث، الإسكندرية،2008م، ص 57.

[4]–عثمان بن عبد الله بن بشير النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، ج1، ط 4، تح وتع:عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله الشيخ،مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1982م ص 322.

[5]– برناديت غانم، قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم السعودية–الإمارات العربية المتحدة، édito creps، [د م]، [د ت]، ص86.

لم يستثمر الوهابيون انتصارهم في " الصفراء"، بل قبعوا في معاقلهم ما أعطى طوسون الفرصة لإعادة تنظيم صفوف قواته، كما طلب إمدادات من القاهرة وأخذ يستميل قبائل ينبع والمدينة المنورة بالمال والهدايا، فنجح في سياسته هذه التي مهدت له السبيل لاستعادة المدينة المنورة ومكة المكرمة والطائف، لكن الوهابيين انتصروا في "تربة"* و"الحناكية " **وقطعوا طرق المواصلات بين مكة والمدينة، فأصيب الجنود بالإرهاق نتيجة لشدة القيظ وقلة المؤنة والماء، ما زاد موقف طوسون حرجا.

أرسل طوسون إلى والده يطلب المساعدة، فقرر محمد علي باشا أن يتجه بنفسه إلى الحجاز لمتابعة القتال والقضاء على الوهابيين وبسط نفوذه في الجزيرة العربية، غادر مصر في 26 أوت 1812 م على رأس جيش آخر ونزل في جدة، وبعدها إلى مكة وهاجم معاقل الوهابيين، إلا أنه فشل في" قنفذه"، وانهزم ابنه طوسون في "تربة "مرة أخرى.

كان من الطبيعي بعد هذه الهزائم المتكررة ومناوشات الوهابيين المستمرة لوحدات الجيش المصري أن يطلب محمد علي باشا المدد من مصر ، [1]فلما وصلت المساعدات تمكن طوسون من احتلال "الصفراء" والدخول إلى المدينة المنورة عام 1812م بعد حصارها، وسار بعدها إلى مكة بإشراف" غالب بن مساعد" فدخلها في عام 1813م ومنها إلى مدينة "جدة" فأسر" عثمان المضايفي" أمير الطائف الذي أرسل إلى مصر ومنها إلى إسطنبول حيث لقي حتفه.

وفي27 ابريل 1814م توفي الأمير سعود وخلفه ابنه عبد الله الذي لم يكن كفوا لدفع الخطر المصري[2].

لم يمكث والي مصر في الجزيرة العربية ليتابع النصر الذي أحرزه، بل عاد إلى مصر تاركا ابنه طوسون في الحجاز وسرعان ما تمكن هذا الأخير من هزيمة السعوديين، ثم أسرع بالزحف على القسم الشمالي من "نجد"حتى بلغ في مدينة "الرَس"***وأصبح الطريق إلى الدرعية مفتوح أمامه، وفي خضم هذه الأحداث طلب الأمير عبد الله فتح باب المفاوضات فعقد الصلح بين الطرفين تحت الشروط التالية :

1 - احتلال القوات المصرية الدرعية.

2 - أن يضع الأمير عبد الله نفسه تحت تصرف طوسون باشا ويسافر إلى الجهة التي يريد أن يسافر إليها.

3 - أن يؤمن عبد الله سبل الحج وان يكون خاضع إلى حاكم المدينة من قبل محمد علي.[3]

---

*- هي منطقة تقع على مسافة 80 ميلا من الطائف شرقا. أنظر: أمين الريحاني، المصدر السابق، ص69.

**- هي بحيرة على بعد ميلا شرقي المدينة. أنظر: أمين الريحاني، المصدر السابق، ص 73.

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 348.

[2]-كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أمين فارس، الأنيس للطباعة والنشر، الجزائر،2011 م، ص 516.

*** تبعد على مسافة مئتين وسبعين ميلا شرقا بشمال المدينة المنورة وخمسة وثلاثين ميلا غربا بجنوب عنيزة. أنظر: أمين الريحاني، المصدر السابق، ص 70.

[3]- محمد علي الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، [د م]، 2001م، ص357.

غير أن هذه الشروط لم تقبل من طرف الأمير عبد الله وقرر إرسال وفد إلى مصر للتفاو ض مع محمد علي مباشرة حول شروط الصلح، إلا إن الوفد فشل في مسعاه بسبب تشدد الباشا فتأهب السعوديين للحرب والقتال.[1]

أرسل محمد علي حملة أخرى في 05 سبتمبر 1816م بقيادة ابنه إبراهيم،* فسار هذا الأخير عن طريق جدة فوصل إلى ينبع ثم المدينة المنورة وبدأ يزحف ببطء على نجد فاحتل "الحناكية "وأنشأ فيها معسكرا محصنا.

في صيف 1817م اقترب إبراهيم من "الرَس" وحاصرها مدة 3 أشهر و 27 يوم دون جدوى، فقد صمد الوهابيون في وجه الحصار حيث بلغ عدد قتلى المصريين 24 ألف جندي، في حين بلغ عدد قتلى الوهابين 160م قتيل وهذا ما يدل على خسارة الجيش المصري، فأضطر إبراهيم إلى رفع الحصار وأن يقبل عبد الله شروط وقف القتال التي تمثلت في :

1 - أن يرفع الحصار عن المدينة وأن لا يضع أهلها سلاحهم وأن يقيموا على الحياد.

2 - أن لا يدخل "الرَس" أحد من جنود إبراهيم.

3 - إذا استولى الجيش على مدينة " عنيزة " تسلم له مدينة "الرَس" بدون قتال وإن لم يفلح يعود للقتال ثانية.

سار إبراهيم قاصدا "عنيزة" واحتل في طريقه "الخبراء" واستراح بها 11 يوما ثم حاصر عنيزة 06 أيام إلى أن استسلم حاكمها "محمد بن حسن"، [2] وبعد ذلك تحرك نحو شقراء بقوات قليلة لا تزيد عن 4 آلاف جندي وفي 13 جانفي 1818م وصل إلى ضواحيها وسقطت في يده بعد عدة أيام،كما استولى على" الوشم" ثم احتل "سدير" وبذلك فتح الطريق نحو الدرعية.[3]

واصل إبراهيم زحفه حتى الدرعية فضرب عليها حصارا طويلا استمر من 06 ابريل إلى 09 سبتمبر 1818م وانتهى باستسلام الأمير عبد الله بن سعود ودخول إبراهيم الدرعية، حيث أرسل من هناك الأمير السعودي في حراسة مشددة إلى مصر، ثم أرسل من القاهرة إلى إسطنبول برجاء من محمد علي للعفو عنه، ولكن السلطان محمود الثاني شهر بالأمير في شوارع إسطنبول ثلاثة أيام كاملة ثم أمر بإعدامه شنقا، أما إبراهيم باشا فقد مكث بالدرعية حوالي 09 أشه ر، وقبل أن ينسحب منها عام 1819م عائدا إلى مصر قام بإحراقها وتدميرها تدميرا تاما بناءا على التعليمات التي أرسلها إليه و الده. ويذكر "سادلير"أنه حين التقى بإبراهيم باشا بالقرب من المدينة المنورة ذكر له أن أوامر حرق الدرعية وتخريبها إنما صدرت من الباب العالي وليس من والده.

---

[1]- عيسى الحسن، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية ، ط1، دار الأهلية، عمان، 2008م، ص629.

*- ولد 1785 بقوله جاء إلى مصر 1805 حيث أشرف على مسح الأراضي الزراعية، تولى حكم الصعيد وقاتل المماليك هناك، عين في العسكرية المصرية ويعتبر المؤسس الفعلي للجيش المصري، حكم مصر في 1848 بعد أبيه وتوفي في نوفمبر 1848. أنظر: عبد الوهاب الكيلالي، موسوعة السياسة من أ إلى ث، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، [د ت]، 17.

[2]- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 111.

[3]- برناديت غانم، المرجع السابق، ص 89 .

عين إبراهيم باشا أحد الموظفين الأتراك حاكم على نجد، ثم رجع إلى القاهرة مع من تبقى من جيشه وترك حامية مصرية في نجد والحجا ز، وبذلك دخل القسم الأكبر من الجزيرة العربية على إثر الفتح المصري ضمن الإمبراطورية العثمانية رسميا، بينما أصبح يعود حكمها فعليا إلى مصر.[1]

وهكذا انهارت الدولة السعودية الأولى على يد إبراهيم باشا، وأصبحت نجد منذ ذلك الحين تابعة لباشاوية مصر 1819م.

بعد تدمير إبراهيم الدرعية اتجه إلى ضم مناطق أخرى حيث توجه عام 1819م إلى الإحساء وتمكن من السيطرة عليها في نفس العام دون مقاومة، حيث أن واليها " فهد بن عفيصان " تركها وغادر إلى البحرين، لكن بقاء إبراهيم باشا في " الإحساء" لم يدم طويلا بفعل الضغوطات الخارجية التي تعرض لها و والده.

نتيجة لهذه الضغوطات كتب محمد علي لأبنه إبراهيم بضرورة الانسحاب من " الإحساء " وكان ذلك في 21 مارس 1821م.[2]

ب–المرحلة الثانية1834–1839م:

في سنة 1834م أرسل والي مصر قواته لاحتلال "تهامة "اليمن ومنطقة "تعز "، وفي 1836م وجّه قوة جديدة إلى اليمن بقيادة "إبراهيم باشا يكن" * الذي عينه على اليمن وكان يساعده في تحركه "الشريف عون " –شريف مكة –، وقد واجه الجيش المصري أثناء زحفه إلي "عسير" والمناطق الممتدة على طول الساحل اليمني حتى "الحديدة" متاعب كبيرة نتيجة لوعورة الطريق وسوء الطقس وقلة الماء، لكن رغم هذه المشقة تمكنوا من احتلال معظم الثغور اليمنية والمواقع الداخلية في "تهامة" وأصبح "إبراهيم يكن" واليا على اليمن واتخذ من "الحديدة "مركزا لإدارته.

وفيما يتعلق بنجد فقد تعاون الأمير "خالد بن سعود "– أحد أبناء الإمام سعود الكبير، وهو أحد الأمراء السعوديين في الدولة السعودية الأولى – مع "خورشيد باشا "الذي كان على رأس الجيش المصري وسهل له التوغل في المناطق التي كانت تابعة لدولته.[3]

وفي مارس1836م اتجهت قوات فيصل بن تركي إلى "عنيزة" التي أيده أميرها "يحي بن سليمان "، ثم سارت القوات إلى"بريده" وهناك لقيت تأييد من أميرها عبد العزيز بن محمد، وبعدها انتقلت إلى"الخبرا ء" في "القصيم"

[1]– زاهية فدورة، شبه الجزيرة العربية (كياناتها السياسية)، دار النهضة العربية، بيروت، [د ت]، ص31.

[2]– نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص83.

*– اسمه إبراهيم باشا توفيق ولد بالقاهرة سنة 1804م وهو ابن أخت محمد علي. أنظر : عايض بن خزام الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية 1247 هـ–1255هـ / 1831م– 1839م، ص 244.

[3]– نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص83 .

وفي ذلك الوقت كانت قوات إسماعيل قد وصلت إلى بلدة "الرس" في القصيم، وعند مدينة "د لم " *حصرت قوات الأمير فيصل مما أضطره إلى التراجع والاستسلام.[1]

بدأت أنظار محمد علي تتجه نحو الأجزاء الوسطى والجنوبية من الخليج العربي بعد السيطرة على نجد والإحساء فتركز نشاطه حول البحرين، وتم عقد اتفاق أطلق عليه " معاهدة أمان " بين "خورشيد باشا "وشيخ البحرين "أحمد آل خليفة"في مارس 1839م بموجبها خضعت البحرين لسيطرة والي مصر.

قامت بريطانيا باحتلال عدن فأدرك محمد علي أن ذلك كان بمثابة ضربة موجهة إلى مشروعه أماله في الجزيرة العربية، وعلى اثر توقيع معاهدة لندن 1840امر محمد علي قواته بالانسحاب.[2]

بفضل الجهود التي قام بها كلا من والي مصر وابنيه "طوسون" و"إبراهيم" تمكنوا من القضاء على الدعوة الوهابية وإسقاط الدولة السعودية الأولى، غير أنهم فشلوا في القضاء على الدولة السعودية الثانية التي أعاد تأسيسها فيصل بن تركي وذلك بسبب التدخل الأوروبي في ذلك الوقت.

المبحث الثاني: توسع محمد علي في السودان الشرقي 1820

حرص محمد علي على ربط السودان بمصر، لما لهما من روابط على مر التاريخ ذلك أن حوض النيل يكون وحده واحدة، سواء من الناحية الجغرافية أو البشرية وحرصاً على استمرار هذه الروابط، توجه محمد علي لتوسيع رقعة حكمه نحو الجنوب.

1.أسباب التوسع:

بعد نجاح محمد علي في القضاء على الدعوة السلفية وسيطرته على شبه الجزيرة العربية بدأ التفكير في فتح السودان لعدة أسباب منها :

1. **الحاجة إلى الجنود**: أدرك محمد علي أن مصر كانت نصب أعين الدول الأوروبية عموما وانجلترا وفرنسا خصوصا فرأى أن الوسيلة الأنسب لصد محاولات هذه البلدان القوية عسكرياً يكمن في تشكيل جيش قوي جيد التدريب يكون قادرا على مواجهتهم فوقع اختياره على السودانيين لما لهم من تاريخ طويل في خدمة الجيش الفرعوني القديم.[3]

*هي: قاعدة الخرج قديما تبعد عن الرياض حوالي مائة كيلو متر. أنظر:أمين الريحاني، المصدر السابق، ص122.

[1]- عبد الفتاح حسن أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية 1256-1309هـ 1840 – 1891 م، ط4، دار المريخ للنشر، الرياض، 1991 ص 85.

[2]- نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص84. أنظر: الملحق رقم2، 61.

[3]- أمل عجيل، قصة و تاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم ليبيا – السودان – المغرب، édito creps، [د م]، [د ت]، ص69.

2. **إبعاد الجنود الألبانيين:** كان هدف الباشا من إبعاد هؤلاء الجنود الألبانيين العائدين من الجزيرة العربية، لما عرف عنهم من كثرة التعديات وقيامهم بأعمال السلب والنهب ومحاولتهم التمرد عليه حينما أراد تحديث تدريباتهم العسكرية علي أيدي الفرنسيين. [1]
3. **التخلص من المماليك:** حاول محمد علي من خلال هذا التوسع القضاء على المماليك الذين فروا بعد مذبحة القلعة، لأن وجودهم على حدود مصر الجنوبية يشكل خطر على مصر. [2]
4. **الثروة الذهبية:** وصل إلى مسامع محمد علي أن السودان غنية بالمواد المعدنية لاسيما الذهب، وكان هذا الباشا في أمس الحاجة إلى المال لتدريب جيشه وتحسين المستوى الزراعي والصناعي، فمصر بأكملها تعتمد على مياه النيل لذلك أراد محمد علي أن يكون كل وادي هذا النهر تحت تصرفه لكي لا يقع تحت رحمة أي دولة أخرى، مثل الحبشة التي كان يشاع أنها تخطط لتحويل مجرى مياه النيل بدعم من الدول الأور وبية، فأراد محمد علي أن يضع يده على السودان الذي يشكل قسما كبيرا من وادي النيل.
5. **التـجـــــارة:** كان محمد علي يهدف إلى السيطرة على محاصيل السودان من العاج وريش النعام والذهب والجلود لبيعها في الأسواق العالمية لمصلحة خاصة.
6. **تأسيس أمبـرطـوريـــة:** كان يحلم في تأسيس امبرطورية واسعة الأجزاء تمتد من الجزيرة العربية والمحيط الهندي وتشمل السودان وشواطئ البحر الأحمر وحوض النيل والبحر المتوسط. [3]

2.بداية التوسع:

أرسل محمد على حملة في جويلية 1820م بقيادة ابنه إسماعيل بلغ تعدادها 5400 ألف مقاتل و24 مدفعية في منتصف1820م تحركت الحملة صوب الجنوب عن طريق النيل وكانت تتألف من جيشين ، احدهما بقيادة إسماعيل باشا بن محمد علي بلغ عدده 5400جندي، والأخر يتكون من حوالي 4 آلاف جندي ويقوده "أحمد بك "الدفتر دار صهر محمد علي.

وقد تعاون الجيشان في فتح السودان والقضاء على المقاومة التي واجهتهما، وسارت من "أسوان" إلى "وادي حلفا "وأقامت هناك نحو 20 يوما، ثم زحفت على " دنقلة " ولم تلق مقاومة تذكر، ولما دخل الجيش بلاد "الشايقية" جنوبي " دنقلة " تجمع أهلها لقتال إسماعيل بالقرب من " كورتي " الواقعة بشاطئ الغربي لنيل ولم يكن معه من الجنود سوى 800 فارس، فانقض الشايقية على رهط من رجاله وقتلوا منهم 75 مقاتلا، فاشتبك إسماعيل مع الشايقية في معركة دامت 3 ساعات، في 04 نوفمبر 1820 م انتهت بهزيمة الشايقية قتل منهم حوالي 800رجل وقتل من جنود إسماعيل باشا حوالي30 رجل.

[1]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص 187.
[2]- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 264.
[3]- أمل عجيل، المرجع السابق، ص 70.

تم تقدم إسماعيل بعد المعركة وبلغ "كورتي "عاصمة الشايقية فأحرقها وانتظر بها ريثما يكتمل جيشه، ثم استأنف الزحف في 21 فبراير 1821م حتى بلغ النيل تجاه" بربر "و"فتوح "في 10 مارس سنة 1821 م وقدم ملكها "نصر الدين" خضوعه، فأقره إسماعيل على بلده، ثم فتح "شندى" بعد أن قدم ملكها " نمر "ولاءه ، وتابع الجيش تقدمه نحو "رفقه" جنوبا إلى إن بلغ "جلفاية" الواقعة على مقربة من ملتقى النيل الأزرق بالنيل الأبيض فاحتلها ثم احتل" أم درمان "الواقعة على النيل الأبيض، واجتاز الجنود النيل فبلغوا مدينة "الخرطوم".

بعد أن وطد إسماعيل مركزه في الخرطوم ترك بها حامية عسكرية وسار بباقي جيشه لإتمام فتح مملكة "سنار" واحتل"ودمدني" من أهم مدن "سنار"، ثم دخل إسماعيل عاصمة المملكة في 12 جويلية سن ة1821م. ودانت البلاد للحكم المصري من جنوبي وادي حلف إلى "سنار".[1]

في حين توجه "محمد بك" دفتر دار إلى غرب السودان، وأرسل رسالة إلى سلطان "دارفور" "محمد الفضل " وطلب منه الاستسلام، لكن هذا الأخير رفض ذلك فزحف الجيش المصري إلى " كردفان " التابعة لسلطان دارفور التي يحكمها الوالي "المقدوم مسلم "، ولما وصلت إلى مسامع الوالي أخبار دنو الجيش الغازي، توجه إلى "بارة" لمحاربته ففي 16 ابريل 1821 م تلاقى الجيشان وسرعان ما هزم جيش "كردفان" كما حصل مع جيش "الشايقية " وقتل "المقدوم مسلم "واستسلم الناجون.[2]

بعد هذا النصر أصيب الجيش المصري بأمراض أهلكت منهم عدد ا كبيرا، فساءت أحوال الحملة في "سنار"و"كردفان" حيث وصل عدد الوفيات 1500قتيل في شهر أكتوبر 1821م، ولما بلغ الخبر إلى الباشا أرسل ابنه إبراهيم على رأس قوة كبيرة ومعه المؤن وعدد كبير من الأطباء فتحسن حال الجنود.

حينها سارع إبراهيم في إعداد خططه لفتح ما بقي من السودان، فتقدم بنصف الجيش باتجاه "سنار" إلى أعالي النيل، بينما اتجه إسماعيل مع نصف الجيش الآخر إلى إقليم " فازو غلي"* على النيل الأبيض.

فلما بلغ إبراهيم منتصف الطريق أصابه المرض وعاد إلى مصر واستمر إسماعيل في زحفه حتى بلغ أهدافه في يناير 1822م.

بعد أن فتح إسماعيل باشا إقليم فازو غلي سار إلى جبل "بني سنقول"جنوبي "فازو غلي" للبحث عن مناجم الذهب بصحبة " المسيو كايو " فحفر أماكن عدة لكنه لم يعثر على ضالته.[3]

بسبب تمرد أهل "سنار" على الجيش وثورة أهالي "حلفا "و"شند ى" التي كان سببها سوء معاملة الجنود الارنؤوط للأهالي، استدعى إسماعيل ملك "شند ى" وقال له:« إني أريد أن تملئ مركبي هذا ذهبا وتقدم لي ألفي رجل لجيشي في ظرف 05 أيام ».

---

[1]- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص ص161 - 162 - 163.

[2]- أمل عجيل، المرجع السابق، ص 74.

*- سمي باسم الجبل المعروف بجبل فازوغلي ويقع على الشاطئ الغربي للنيل الأزرق. أنظر :عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 165.

[3]- نفسه، ص 165.

طلب "ثمر"مد المهلة فزجره إسماعيل وضربه بشبكة فما كان من الملك إلا انه دبر مكيدة لإسماعيل فاغراه بسكن بيت بـ"شندى"، وكدس حول ذلك البيت أكواما من الحطب والقش بحجة الرغبة في إطعام خيل الباشا،فادخل قومه حرس إسماعيل إلى البيت عنوة وأشعلوا النار في الوقود المكدس حولها فحاول إسماعيل ومن معه الفرار لكن جنود لملك ما فتئت تدفعهم في وسط النيران حتى احترقوا وماتوا.[1]

ولما سمع الدفتر دار بك بالمأساة توجه إلى"سنار" ل يثأر لموت صهره، إذ احرق جيشه أكثر من ثلاثين ألف سوداني. الذين لم يكن باستطاعتهم الدفاع أمام وسائل الإبادة والقهر الجماعي.

واصل محمد علي توسعه حتى جنوبي السودان واقتربوا من تخوم "دار فور"غربا وسيطروا على مينائي "سواكن" و"مصوغ"على البحر الأحمر شرقا، ثم انضمت إلى ممتلكات الباشا منطقتا " الشاكه " و" كسلة " عام 1840.[2]

بعد أن بسط محمد علي نفوذه على السودان قام بتقسيمها إلى سبع مديريات هي:

"دنقلة" و" بربر" و"الخرطوم" و"وكردفان" و"كسلة" و"سنا ر" و"فازو غلي" على أن يتولى الحكم في السودان حاكم يدعى حكمدار السودان ويتولى السلطتين العسكرية والمدينة ويخضع لديوان وزارة الداخلية بمصر ،كما قام بإصلاحات اقتصادية وإدارية على النسق المعمول به في مصر.[3]

هكذا تم لمحمد علي فتح السودان وتجنيد عدد كبير من الشبان السودانيين في جيشه، وتمكن من تكوين وحدة سياسية تضم كل من البلاد العربية والسودان مع مصر.

المبحث الثالث: توسع محمد علي في اليونان1821

1. أوضاع اليونان قبيل التوسع:

كانت بلاد اليونان حتى أوائل القرن التاسع عشر جزءا من السلطنة العثمانية يحكمها ولاة من الأتراك وشغل اليونانيون موقعاً متميزا في الدولة العثمانية مند زمن، واستوطنت غالبيتهم منطقة "المورة" و"جزر بحر ايجة"، إلا أنهم كانوا منتشرين في كافة أنحاء أراضي الدولة، وضل الوضع على هذا الحال حتى ظهرت بوادر الثورة ضد الحكم العثماني التي تعود أسبابها إلى:

1. انتشار الأفكار الأوروبية، وبخاصة أفكار الثورة الفرنسية.
2. تطور المجتمع اليوناني بفعل الرخاء الاقتصادي الذي نجم عن الحروب النابليونية.
3. التدخل الأوروبي المباشر.

والحقيقة أن الحركات الثورية والجمعيات السياسية السرية والعلنية تمت في بلاد اليونان ابتداء من أوائل القرن التاسع عشر، وأضحت تشكل خطراً من عام 1820م، واتخذت مراكز لهافي كل من النمسا وروسيا لتكون على اتصال وثيق بالحكومات الأوروبية من جهة، ومحمية من اضطهاد الحكام العثمانيين من جهة أخرى.

---

[1]- الياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 126.

[2]- سيار الجميل، المرجع السابق، ص 324.

[3]- محمد محمود السروجي، المرجع السابق، ص 265. أنظر: الملحق رقم 3، ص62.

ولعل أهم هذه الجمعيات جمعية (فيلكي ايثريا) أي الجمعية الأخوية التي تأسست في عام 1814م في "اوديسا" بتشجيع من القيصر اسكندر الأول، وقد وضعت نصب عينيها الثورة على الحكم العثماني وتأسيس دولة مستقلة وانضم إليها أعيان اليونان وشبانها ورجال الدين.

اندلعت الثورة في شبه جزيرة "بيلوبونس الجنوبية" في مارس 1820م وانتشرت بسرعة في وسط "اليونان" و"مقدونيا"وجزر "إيجة" و"كريت"، فوجد العثمانيون أنفسهم يخوضون المعارك على عدة جبهات في وقت واحد.[1]

2. أسباب التوسع:

1 -دفع الدول الأوروبية بالسلطان محمود الثاني للاستعانة بمحمد علي لإخماد فتنة التمرد في اليونان وأشارت الدول الأوروبية على محمد علي بقبوله المهمة.[2]

2 -كان هدف محمد علي من ذلك السيطرة على منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط وتحويله إلى بحيرة مصرية واستثمار ملاحتها النشطة لخدمة أهدافه وتحقيق حلمه في تكوين دولة كبرى في المنطقة العربية.[3]

3 -رغبة محمد علي في إظهار قوة مصر الحربية أمام العالم وتفوقه على الباب العالي.[4]

3. بداية التوسع:

قبل محمد علي عرض السلطان بشرط أن يحصل على ولاية كلا من "كريت "و"الموره"، فمنحه السلطان العثماني ذلك، فأعد محمد علي أسطولا بالإسكندرية، أقلع منها في 10 جويلية 1821م بقيادة ابنه "إسماعيل" متجها لمطاردة السفن اليونانية، والتقى بالأسطول التركي في "الدردنيل" ثم عاد إلى الإسكندرية في مارس 1822م ليتأهب لنقل الحملة إلى جزيرة "كريت".

في حين توجهت حملة أخرى إلى جزيرة "كريت "بقيادة "حسن باشا" مكونة من 05 آلاف جندي في جويلية 1822م، واستمرت الحرب حتى عام 1823م وقاتل المسلمون الثوار قتالا شديدا وفي هذه الأثناء مات "حسن باشا""وخلفه "حسين بك "في قيادة الجند.

أما في بلاد "المورة" استمرت الحرب بين الجيش التركي والثوار حتى 1823م، فشعر السلطان العثماني بعجزه عن إخماد الثورة فلجأ إلى محمد علي، حيث أعد هذا الأخير جيشا بقيادة ابنه إبراهيم كان يتألف من 04 مشاة و04 من المدفعية و 700من الفرسان وأعد عمارة بحرية لنقل الحملة تتألف من 51 سفينة حربية و 146 سفينة نقل.[5]

---

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 337.

[2]- عيسى الحسن، المرجع السابق، ص636.

[3]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص 188.

[4]- لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط9، دار الفارابي، بيروت، 2007م، ص 112.

[5]- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 192 - 193.

انطلقت العمارة من ميناء الإسكندرية في 16 جويلية 1824م إلى جزيرة رودس، ثم ترك إبراهيم باشا "سليمان بك الفرنساوي" مع حامية كافية لحماية الجزيرة، وقصد هو جزيرة "كريت"فأحتلها ومنها توجه إلى بلاد "الموره"وبعد عناء تمكن من إنزال جنوده في ميناء "مودون" هذه الأخيرة التي بقيت تحت يد العثمانيين.

استطاع إبراهيم باشا فتح مدينة "كورون" في 23 مارس1825م، ثم فتح" ناروين" الشهيرة بعد حصار شديد ودخلها منصورا في16ماي 1825م، وبعدها فتح مدينة "كلاماتا"*.

وفي 23 ماي 1825م احتل مدينة " تريبولتسا " ** ثم استدعاه رشيد باشا الذي كان يحاصر مدينة "ميسولونجي " *** لمساعدته على فتحها، وكانت قد أتعبته لوقوعها على البحر ووصول المدد إليها تباعاً من جهة البر، فقام إبراهيم بجيوشه ملبيا دعوته واتبع في فتحها الطريق الذي أرشده "سليمان بك" إليها في محاصرة المصريين في 22 ابريل1826.

في جويلية من السنة التالية فتح العثمانيون مدينة "أثينا"وقلعتها الشهيرة "أكروبول" رغما عن دفاع اللورد "كوشران" الانجليزي الذي عين من قبل اليونانيين قائدا عاما لجيوشهم.[1]

نتيجة لانتصارات الجيش المصري قام اليونانيون بتحريك الرأي العام الأوروبي لإنقاذ الثورة، والحقيقة أنهم أضحوا بحاجة إلى تأييد اوروبى مباشر لتحقيق أهدافهم، فنهضت جماعة من أقطاب الشعراء والأدباء يثيرون الرأي العام في أوروبا بكتابتهم ويحثون الدول الأوروبية على التدخل لصالح الثورة.

وفعلا دعت انجلترا روسيا للتشاور بغية الوصول إلى تفاهم حول مستقبل اليونان، واتفقت الدول الثلاث انجلترا وفرنسا وروسيا على حث الباب العالي على عقد هدنة مع اليونان ومنحهم قدرا من الحكم الذاتي في إطار التبعية الاسمية لسلطان العثماني، على أن النية لم تكن قد اتجهت بعد ذلك إلى استخدام العنف، ولكن بعد ذ لك بوقت قصير سقطت "ميسولونجى " في يد الجيش المصري وكانت أخر معقل كبير لثوار، فأرسل القيصر نقولا الأول الذي خلف اسكندر الأول في أواخر 1825م إنذارين إلى الدولة العثمانية: يتعلق الأول بالقضية اليونانية، أما الثاني فكان لتهديد الدولة العثمانية بوجوب تنفيذ مقررات معاهدة "بخار ست"خلال 06 أسابيع وهى إعادة الحقوق الروسية في الولايتين، "الافلاق" "والبغدان" واستقلال" الصرب".

والواقع انه لم يكن أمام السلطان محمود الثاني سوى الرضوخ للإنذار الروسي فيما يتعلق بولايات البلقان وذلك نتيجة للأوضاع الداخلية الحرجة التي كان يمر بها، إذ انه كان يستعد لتوجيه ضربة قاضية إلى الجيش الانكشاري، كما رأى أن الاستجابة لمطالب روسيا سوف يفقدها حججها في محاربتها ويكسب الدولة العثمانية تأييدا انجليزيا وفرنسيا.

---

* – تقع في نهاية الخليج الغربي من شنه جزيرة موره. أنظر :محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 415.

**- تقع في وسط جزيرة موره. أنظر: محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 415.

***- هي ميسولونجيون تقع في رأس الخليج الواقع شمال جزيرة موره. أنظر :محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 415

[1]– نفسه، ص ص414 – 415.

عقدت بين الدولة العثمانية وروسيا معاهدة "أق كرمان "في أكتوبر 1826م واهم ما جاء فيها :

1 -حق الملاحة للسفن الروسية في البحر الأسود والمرور من المضايق من دون أن يكون للدولة العثمانية الحق في تفتيشها.

2 -تنتخب روسيا حكام ولايتي الافلاق والبغدان لمدة 07 سنوات بعد مشاورة أعيانها، ولا يجوز عزلها إلا بعد موافقتها.

3 -استقلال ولاية الصرب على أن تحتفظ الدولة بقلعة بلغراد وثلاث قلاع أخرى.

4 -تعهد روسيا بإعادة ما احتلته في آسيا من الحصون والقلاع العثمانية في الحرب الأخيرة، ويجري تخطيط الحدود كما كانت من قبل.[1]

وفي19 أكتوبر 1827م أرسلت الدول الثلاث أساطيلها فقد كان الأسطول الفرنسي بقيادة الأميرال "هيدن" والأسطول الانجليزي بقيادة الأميرال"كودونجتون "، حيث سلطت جميع السفن الحربية الأوروبية المتحالفة نيرانها على السفن المصرية والتركية في ميناء نافلرين، وعندما علم الباب العالي بهذه الحادثة أرسل مندوبين إلى سفراء هذه الدول الثلاث للاحتجاج على هذا الخرق للمعاهدات الرسمية بينها وبين الدولة العثمانية وطالب بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بسفنه، فانسحب سفراء الدول إلى بلدانهم دون رد على مندوبي السلطان، فنشر السلطان بياناً في جميع الولايات يبين فيه المكائد والمؤامرات المقصودة لإخضاع الدولة العثمانية لنفوذ هذه الدول فكان رد فعل الروسيين سريعاً بإعلانها الحرب رسمياً على الدولة العثمانية في 26ابريل1828م، ولما رأى إبراهيم باشا القوة الأور وبية وتألبها على العثمانيين،كما علم أن فرنسا قد أصدرت أوامرها لإرسال جيش كبير لتعزيز القوات الأوروبية لتحرير اليونان بالكامل اضطر إلى الاتفاق مع الدول المتحدة (بناء على أوامر والده) على أن يترك قوة مكونة من ألف ومأتي جندي في "مؤون" و"كوردون" و"ناروين" ريثما تستلمها الجيوش العثمانية، وفي 07سبتمبر1828م بدأ انسحاب الجيش المصري، وبرحيله أصبحت اليونان مستقلة.[2]

عاد الجيش المصري في أكتوبر 1828م وقد أنهكته الحروب والأمراض، وتكبدت مصر في هذه الحملة متاعب وضحايا هائلة، إذ فقدت ثلاثين ألف مقاتل وبلغت نفقات الحرب 775ألف جنيه وفقدت أسطولها الحربي،كما لم ينل محمد علي من هذه الحرب سوى جزيرة "كريت".[3]

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص 341 -342.

[2]- وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2003م، 231.

[3]- الجمعية الملكية لدراسات التاريخية، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا 1848-1948، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1948م، ص276.

المبحث الرابع: توسع محمد علي في بلاد الشام1831-1840

خرج محمد علي من حرب اليونان دون أن يحقق أهدافا أو يظفر بفتح جديد،حيث ألح الباشا على السلطان أن يوليه "بلاد الشام"* عوضا عن المورة، وحين رفض السلطان محمود الثاني طلبه هذا، قرر والي مصر اجتياح البلاد الشامية بالقوة.[1]

1. أسباب التوسع:

هناك عدة أسباب أدت بتوجه محمد علي نحو الشام نذكر منها:

1 -الأهمية الإستراتيجية لبلاد الشام وشواطئ البحر المتوسط الشرقية كونها جبهة مصر الشمالية ومسلك الخطر العثماني نحو مصر،[2] وقد أشار " كلوت بك"** عن الأسباب الحقيقية لسيطرة والي مصر على بلاد الشام في قوله :" إن ضم سوريا إلى مصر كان ضروريا لصيانة ممتلكات العزيز، فمنذ أن تقرر في الأذهان إنشاء دولة مستقلة وجب الاعتراف بأنه لا يمكن إدراك هذه الغاية إلا بضم سوريا إلى مصر".[3]

2 -استغلال موارد الشام من الخشب والفحم والنحاس، فمصر كانت بحاجة إلى الأخشاب لبناء السفن الحربية والتجارية ولترقية صناعاتها بعد أن أنشأ محمد علي المصانع الكبرى.

3 -تجنيد سكان الشام في الجيش المصري.4

4 -رغبة محمد علي في إنشاء دولة عربية متحدة، وفي هذا الصدد يذكر "جورج انطونيوس "في كتابه "يقظة العرب «بأن مشروع محمد علي كان يرمي إلى تشكيل إمبراطورية عربية يستقطعها لنفسه من بلاد السلطان فقد تحطمت آماله حين اصطدمت بمعارضة "بالمرستون" ***وزير خارجية إنجلترا، وإن كان قد أوشك أن يحقق هذا المطمح حين فتح بلاد الشام».5

---

*- تقع في الجزء الغربي من قارة آسيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وتضم سوريا حالياً وفلسطين ولبنان والأردن. أنظر:جيهان عبد الرحيم، السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام، رسالة الدكتوراه، إشراف دهيش عبد اللطيف، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية 2001م، ص2.

[1]- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ لبنان الحديث 1516 م 1915م، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004 م، ص86 .

[2]- نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص 81.

** - ولد في مدينة جرينوبل بفرنسا عام 1793م من أبوين فقيرين ،عينه محمد علي طبيباً على جيشه بنيت بمشورته عدة مستشفيات من بينها مستشفى أبي زعبل، وفي 1828م أسس مدرسة طبية في القرية المذكورة، وفي سنة 1840م عاد إلى باريس بعد مرافقته إبراهيم باشا في غزوة سوريا، ثم رجع إلى مصر وظل بها إلى أن توفي محمد علي وابنه إبراهيم وعاد إلى مرسيليا 1860م،التي توفي بها في 1868م. أنظر: المستر جورج يانج، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، ط2، تع: علي أحمد شكرى، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص ص 93-94-96.

[3]-حسان خلاق، دراسات في العلاقات العربية -العربية صفات من تاريخ الوطن العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 2010 م، ص ص 37 -38.

[4]- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 219 .

*** - هو سياسي إنجليزي ولد في 1784م، وبعد أن أتم دراسته في مدرسة كامبردج العليا أنتخب في المجلس العمومي 1806م، أصبح وزيراً لداخلية في 1830م، اشتهر بمقاومته لمحمد علي. أنظر: محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص459.

[5]- جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، ط8، تر: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م ص 84.

5 دخول والي مصر في خلاف مع منافسه "عبد الله" والي عكا "الذي كان يطمح هو أيضا لضم بلاد الشام ومن أسباب هذا الخلاف رفض والي عكا إعادة الفلاحين المصريين الذي بلغ عددهم 600ألف مصري الهاربين إلى سوريا من التجنيد بحجة أن الشام ومصر تابعة للسلطان والسكان في كلا البلدين من رعاياه ومن حقهم الإقامة في أي مكان يختارونه،كما رفض "عبد الله" تسديد الديون والضرائب المترتبة عليه لوالي مصر وكان يساعد بعض مهربي البضائع إلى مصر.[1]

إن فكرة ضم سوريا كانت تختلج في نفس محمد علي منذ 1810م، وكان يأمل أن يصل إلى حكمها بموافقة السلطان، فقد كتب المسيو"دروفتي "قنصل فرنسا في مصر وأكبر أعوان محمد علي برسالة إلى حكومته سنة 1811م يقول فيها "إن محمد علي يطمع في ولاية سوريا وقال لي يوما أنه يستبعد أن ينالها مقابل مبلغ من المال 7أو 8ملايين قرش يدفعها لخزانة السلطان ". [2] إلا أن انهماكه في الحرب الوهابية ثم فتح السودان وحرب اليونان صرفه عنها، ولما انتهى من هذه الأخيرة أخذ يفكر في تنفيذ فكرته القديمة.

وفي هذا الصدد يعترف محمد علي بوضوح «أن الدولة العثمانية معرضة لأزمة خطيرة من تلك الأزمات التي تقرر مستقبل الأمم، فهناك انشقاق وشيك الوقوع بين جزأين من الدولة، تفصل احدهما عن الآخر الأحداث والأنظمة والضرورة واتجاه المصير، وإذا ما تم هذا الانشقاق استقر كيان البلاد العربية».[3]

2. مراحل التوسع:

مرت حرب الشام بمرحلتين: المرحلة الأولى من 1831م إلى 1833م، أما المرحلة الثانية من 1836م إلى 1840م

أ -المرحلة الأولى: 1831- 1833م

سار إبراهيم باشا في 29أكتوبر 1831م على رأس حملة تتكون من حوالي 70ألف جندي و 23 سفينة حربية[4] باتجاه "غزة" و"يافا" و"حيفا" واحتلها، وقام بحصار عكا في 28ماي 1832م، ولما علم السلطان بسقوط هذه المدن أمر محمد علي برد عساكره إلى الوراء فاشترط هذا الأخير توليته سوريا، فأبى السلطان قبول طلبه[5]. وأصدر وأصدر أمرا إلى والي "حلب" "عثمان باشا" بتجهيز جيوشه وإيقاف إبراهيم، لكنه لم يستطع تحقيق ذلك ،[6]إذ تفوق عليه إبراهيم باشا حين باغته قبل أن يصل إلى "عكا "المحاصرة، الأمر الذي جعل السلطان يرسل جيشا آخر

---

[1]- زهيه قدوره، (تاريخ العرب الحديث)المرجع السابق، ص 344.

[2]- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 219 .

[3]- محمد موفاكو، الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية، مطابع الرسالة، الكويت، 1983م، ص 22.

[4]- مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تح: أحمد غسان سبانو، [د ن] ،[د م]،[د ت]، ص40.

[5]-شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، ط 1، تح و تع :حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، بيروت، 2001م، ص، 226.أنظر. الملحق رقم5، ص64.

[6]- عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص 80.

بقيادة"حسين باشا" التقى الجيشان بمدينة حمص [1]وانهزم الجيش التركي، وقد بلغ عدد القتلى من الترك 2000 والأسرى3000فسار الجيش إلى مدينة"حلب" وحاول "حسن باشا" دخولها فمنعه أهلها خوفا من انتقام إبراهيم باشا.[2]

رجع "حسين باشا" إلى الخلف وتحص ن بمضيق "بيلان "* بجبال "طوروس"، عله يستطيع تنظيم جيشه، لكن "إبراهيم باشا" هزمه وفرق شمل جيوشه. فأعد السلطان جيشا آخر وعين "رشيد باشا "قائدا له لصد هجمات إبراهيم عن اسطنبول، وكان هذا الأخير قد احتل إقليم "أدرنة" حتى "قونية "حيث التقى برشيد باشا.[3]

ورغم أن عدد الأتراك بلغ60ألف مقاتل أي ضعف عدد الجيش المصري الذي كان يتكون من 30ألف مقاتل تمكن إبراهيم من محاصر ة الأتراك، وبعد المعركة التي دارت قرب "قونية " لم يبق لدى السلطان قوات أخرى وهكذا انفتح أمام المصريين الطريق المؤدي إلى عاصمة الإمبراطورية.

ولما شعر السلطان العثماني بالخطر المصري، طلب المعونة من الدول الكبرى، إلا أن فرنسا وإنجلترا رفضتا مساعدة السلطان، في حين قامت روسيا بتوجيه المساعدة للباب العالي، حيث كان ذلك بعد دخول "إبراهيم باشا " "كوتاهية" "في 02فيفري 1833م.

وفي فيفري دخل الأسطول الروسي إلى "البوسفور"، وشرع في 23مارس بإنزال الفيلق العسكري الروسي، الذي كان قوامه 20الف محارب ورابط في مقر الحرب على الشاطئ الأسيوي من "البوسفور" في "هنكار إسكلسي"وأرسل في الوقت نفسه من جهة "الدانوب "فيلق روسي آخر كلف بالوصول إلى العاصمة التركية بطريق البر.[4]

اضطربت "فرنسا" و"انجلترا "من التدخل الروسي فألحت على السلطان بالاتفاق مع محمد علي فوقعت معاهدة "كوتاهية "في 04ماي1833م بين الدولة العثمانية ومصر، حيث نصت هذه الأخيرة على أن يخلي المصريون الأناضول، وتعطي للباشا ولاية مصر مدة حياته، ويكون والياً على ولايات الشام الأربعة (دمشق–حلب– عكا–طرابلس) ويعين إبراهيم باشا والياً على أدرنة، استغلت روسيا وجود عساكرها في الأناضول ووقعت معاهدة هجومية دفاعية مع السلطان العثماني ، في جوان عرفت بمعاهدة "هنكار إسكلسي"، بموجبها تعهدت روسيا بالدفاع عن الباب العالي لو هاجمه المصريون أو غيرهم.[5]

---

[1]– عايض بن خزام المرجع السابق، ص80.

[2] محمد كرد علي، خطط الشام ،ج3، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م، ص 54.

* – تقع مدينة بيلان جنوبي الإسكندرونة وشمالي المضيق و الجبل المعروفين باسمها، ويصل إليها من كليس، وطريق من أنطاكية. أنظر : عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص 82 .

[3]– عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ط1، دار الأصالة، الجزائر ،2010م، ص 143.

[4]– لوتسكي، المرجع السابق، ص 121.

[5]– عدنان عطار، المرجع السابق، ص 144.

بعد صلح كوتاهية دخلت سوريا في الحكم المصري وصار إبراهيم باشا حاكما عليها، قام بتنظيم أحوال سوريا وتدبير أمورها الإدارية حيث عمل على إلغاء التقسيمات الإدارية العثمانية السابقة وأقام نظام عسكريا جديدا لحكم الولاية يديره حاكما عام ومقره دمشق، وأنشأ مجلس للشورى في المدن المختلفة مهمتها التعاون مع المديرية في الأمور الجزئية والفصل بين المشاكل العمومية، المختلفة كما عين محافظين على المدن الشامية.

نجح إبراهيم في إجراء تغييرات واسعة في البنية الاقتصادية فقد نشطت الزراعة والتجارة في ظل حكم إبراهيم وعمم تربية دودة القز وصناعة الحرير وغرس أشجار الزيتون والعنب. كما حدد مقدار الضرائب التي تجبى من الفلاحين وألغى الضرائب على الأراضي البكر في زراعتها.

أما من الجانب العلمي والثقافي فقد تغيرت الأوضاع على ما كانت عليه حيث جاء إبراهيم حاملا للنهضة التي أوجدها في مصر لينقلها إلى الشام في إطار البرنامج الجديد الذي أعده وشمل جميع أوجه المدينة لذلك اتجه النشاط إلى مجال التعليم الذي عد ركيزة قوية اعتمدت عليه الشام في نهضتها العلمية.

غير أن حالة الاستقرار الذي شهدته بلاد الشام قد أجهض بالأوامر التي أصدرها محمد علي باشا إلى أبنه إبراهيم بتطبيق نظام تجنيد في الشام، وزاد الأمر سوءا وتدهورا حين أقر بتجريد أهل الشام من السلاح لا سيما وأنه في قراره هذا أستأثر طائفة النصارى على الدروز، حيث أخد أسلحة الدروز وأعطاها إلى النصارى مما أدى إلى النزاع بين الطرفين، هذا فضلا عن قوانين أخرى منها احتكار جميع أصناف الحرير وبعض المواد الأخرى، كما فرض ضرائب باهضة على أهالي الشام.[1]

ب -المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة من 1836م وتنتهي باتفاقية لندن عام1840م.

لم يكن اتفاق كوتاهية حلاً نهائياً للنزاع بين الدولة العثمانية ومحمد علي، فهذا الأخير قبل هذا الاتفاق خوفاً من إجبار الدولة العثمانية على ترك فتوحاته وإتمام مشروعه المتمثل في الاستقلال التام عن الباب العالي، أما السلطان قبل بالاتفاق مكرهاً تحت ضغط الأحداث العسكرية والسياسية، وهو عازم على استئناف القتال في ظرف أفضل لاستعادة نفوذه في بلاد الشام ومصر. [2]ولما كانت هذه أفكار كلاً منهما كان لابد من اشتعال نار الفتنة بينهما مرة ثانية، وكان من أسباب استئناف هذه الحرب عصيان أهل الشام لوالي مصر لمعاملته إياهم بصرامة لإخضاعهم لسلطانه، ثم عصيان الدروز وإمدادهم بالمال والسلاح من الخارج سراً لإضعاف شوكته.[3]

[1]-هدى علي بلال، الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والموقف الدولي منه 1830م-1841م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 10 العدد4، 2011م، ص 349-350 .

[2]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص385.

[3]- محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 452.

في حين كانت الدولة العثمانية تعمل على استمالة العشائر وأصحاب الزعامات والأعيان في الشام لإخراج والي مصر منها، ويذهب بعض المؤرخين في هذا الشأن إلى أن حكومة الباشا كان قد أصابها العجز المادي والعسكري ولم تعد تستطيع إمداد جيوشها في الشام بعناصر جديدة تقوي من قبضتها هناك.

توصل والي مصر إلى اتفاق مرضي مع السلطان العثماني بمساعدة من فرنسا، يتم بموجبه إعطاء ولايتي مصر وبلاد الشام إلى جبال طوروس له إلى مدى حياته، إلا أن الباب العالي رفض الاتفاق، مما جعل هذا الصلح يفشل مرة أخرى.

استغل السلطان العثماني ثورة سكان بلاد الشام على الحكم المصري، ودفع بجيش في ربيع 1839م بقيادة "حافظ باشا" إلى بلاد الشام وكان ظهوره عند الحدود كافياً لإيصال الأزمة إلى ذروتها ، أما إبراهيم باشا فإنه كان يترقب تنفيذاً لرغبة أبيه في اجتناب كل ما يظهره المعتدي.

ويبدو أن والي مصر تملكه الفرح لتحمل السلطان وقائده مسؤولية البدء بالعمليات العسكرية المعادية، لذلك أمر ابنه بمهاجمة الجيش العثماني.[1]

تجمع الجيش التركي عند "سيواس" بقيادة "حافظ باشا" ثم زحف إلى جهة الجنوب حتى وصل نهر الفرات عند بلدة صغيرة تسمى "بيرجك" على الضفة اليسرى منه، ثم وصلت الأوامر إلى "حافظ باشا" أن يجتاز النهر وينتقل إلى الشاطئ الأيمن، فلما وصل هذا الخبر إلى إبراهيم باشا أرسل إلى والده يخبره بذلك، فأمده بالذخيرة، وجيش بقيادة أحمد باشا ناظر الحربية المصرية، وكان إبراهيم باشا في هذا الحين في مدينة "حلب" لقربها من الحدود الشمالية، ووفرة المؤنة فيها، ثم سار من هذه البلدة قاصداً "نصيبين "التي علم أن الجيش التركي قد عسكر فيها.[2]

نشبت المعركة بين الطرفين في جوان سميت ب ـ"نصيبين" أو(نزيب) واحتل المصريون المرتفعات المسيطرة على المواقع التركية، وبعد مرور ساعة من أحداث المعركة تمكنت القوات المصرية من هزيمة الأتراك، وقد فتحت هذه الطريق أمام إبراهيم باشا إلى العاصمة، وفي 30جوان1839م وبعد مرور أيام من معركة "نزيب" توفي السلطان محمود الثاني قبل أن يصله نبأ الحادثة.

وبلغت خسائرهم نحو04آلاف قتيل وجريح اسر منهم بين أثنى عشر ألف و 15 ألف أسير واستولى المصريون على نحو20 ألف بندقية و44 مدفعا. أما الجيش المصري فقد بلغت خسائره نحو 04الاف بين قتيل وجريح.

لما تولى السلطان"عبد المجيد"العرش كان عمره آنذاك لا يتجاوز 17 سنة فتسلم "خسرو باشا" منصب الصدارة العظمى، ولما علم بذالك "احمد باشا فوزي" أمير البحر التركي قرر تسليم العمارة البحرية إلى محمد علي.

فخرج "احمد فوزي" بهذا الأسطول من "الدردنيل" متجها نحو الإسكندرية فلما وصل إلى " جزيرة رودس" أرسل وكيله إلى محمد علي ليخبره بنيته في تسليم العمارة. ثم أقلعت الدونمة العثمانية من " جزيرة رودس" وبلغت

[1]– عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص ص 375 – 376 – 377.

[2]– عمر الأسكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني (إلى الوقت الحاضر)، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص 185.

الإسكندرية وصارت مصر بهذه القوة البحرية المزدوجة أول دولة بحرية في البحر الأبيض المتوسط، وهكذا كان الانتصار مرة ثانية إلى جانب المصرين.[1]

لم يفكر إبراهيم باشا بقيادة حملة على اسطنبول بل اكتفى باحتلال "الرها " و"اورفا " و"مرعش " تنفيذا لسياسة والده وفرنسا، ولم يعبر المصريون جبال"طوروس" إذ لم يريدوا القيام بأي عمل استفزاز لوقوع أي تدخل روسي، وفضلا لتفاهم مع الباب العالي وكان مستعدا للاكتفاء باعتراف السلطان بالحقوق الوراثية لسلالة محمد علي لمصر.[2]

يتبين لنا من خلال ما ورد في هذا الفصل أن محمد علي تمكن من إسقاط الدولة السعودية الأولى في 1818م وتدمير عاصمة الدرعية معقل الحركة السلفية بعد صراعات عديدة، فأورثت هذه الحرب الكره الشديد لمحمد علي وقواته من قبل سكان الجزيرة بسبب الممارسات اللاإنسانية التي كان يقوم بها إبراهيم باشا.

كما حاول محمد علي توحيد مصر والسودان، وإدخال عدد كبير من شبانها في جيشه، وقضاءه على أعداءه المماليك، كما قام بإصلاحات في السودان المصري ، ثم بعد ذلك استجاب لطلب السلطان العثماني المتمثل في القضاء على الثورة اليونانية ونجح في ذلك بفضل قوة جيشه وأسطوله، إلا أن هذا الأخير دمر في معركة "نافارين" 1827م.

ونتيجة لتردي الأوضاع بين محمد علي والدولة العثمانية بعد رفضه الاشتراك في الحرب التركية الروسية التي أعقبت حرب المورة توجه والي مصر إلى بلاد الشام في محاولة منه لضمها لممتلكاته إلى جانب مصر والسودان والجزيرة العربية. كما اثبت محمد علي من خلال توسعاته ضعف الدولة العثمانية وعدم قدرتها على الدفاع على ممتلكاته.

[1]- عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 283.

[2]- لوتسكي، المرجع السابق، ص 130.

الفصل الثالث

ردود الفعل المحلية والدولية

المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية

المبحث الثاني: مواقف الدول الأوروبية

المبحث الثالث: التسوية الدولية وانسحاب محمد علي

الفصل الثالث: ردود الفعل المحلية والدولية

شكل تقدم محمد علي في توسعاته خطراً كبيراً على الباب العالي والدول الأوروبية، خصوصاً بعد نجاحه في معركة نصيبين، حيث وصل جيش الباشا إلى مشارف اسطنبول وتهديده للإمبراطورية العثمانية ومصالح الدول الغربية فيها، فراحت كل منها تنتهز الفرصة لتخلص من والي مصر وإبعاده عن طريقها، نتيجة لذلك عقدت الدول الأوروبية عدة اتفاقيات أهمها معاهدة "لندن" 1840م مع الدولة العثمانية، حيث كانت هذه المعاهدة بداية النهاية لتوسع محمد علي.

المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية

كان لنجاح محمد علي في توسعاته أثراً كبيرا على الدولة العثمانية ، فمحمد علي كان في البداية مؤيد ومطيع لأوامر السلطان محمود الثاني فقد نفذ العديد من طلباته، إلا أن إنجازاته وإصلاحاته أثارت مخاوف الدولة العثمانية من أن يتخطى حدوده ويصبح خطر اً على الدولة بدعوته إلى الاستقلال، لأن سياسته أخذت بوسائل التقدم العلمي وارتقت بمصر في جميع المجالات ، وبذلك أصبحت تجربته يمكن أن يحتذي بها في الولايات العثمانية الأخرى فضلا عن كونها مشجعة للولاة الآخرين على الاستقلال بولايتهم.[1]

حرص محمد علي على عدم إثارة غضب السلطان و احترم أوامره، فلبى طلبه المتمثل في تسيير حملة للحجاز لإخضاع الوهابيين والظفر بالمساعدات المادية الطائلة التي وفرتها الدولة العثمانية له لتنفيذ تلك المهمة متظاهرا بالولاء لسلطان العثماني حتى يكسب ثقته.[2]

وتبنى محمد علي هذا الاقتراح لأن الحملة على الجزيرة العربية كانت قد أثارت اهتمام التجار المصريين الذين تكبدوا خسائر كبيرة من جراء توقف الحج وما يتصل به من تجارة فساهموا في تجهيز الحملة، وقد تمثل هدف والي مصر المباشر في السيطرة على التجارة والاستيلاء على البلاد وخيراتها،[3] وتثبيت مركزه بمصر وإعلاء شأن بلاده، وكذلك لرفع من مكانته وكسب ثقة العالم الإسلامي، حيث يرقى الحرمين الشريفين ويعيد مناسك الحج ويؤمن سبله وليوسع من ممتلكاته، في حين نجد أن الدولة العثمانية كان هدفها من إرسال محمد علي لخوض الحرب في الجزيرة العربية هو إضعاف محمد علي واستنزاف موارده في هذه الحرب ، وكان السلطان حريصا على هزيمة محمد علي أكثر من حرصه

[1]- نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص 81- 87.

[2]- أحلام بنت علي أحمد أبو قايد، الدولة السعودية الأولي من خلال كتابات الرحلة و المستشرقين البريطانيين عرض و تحليل و نقد 1157هـ - 1233هـ/ 1744م - 1818م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، أميرة بنت علي وصفي مداح،قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى -مكة المكرمة - ،2009م -2010م، ص 265 .

[3]- لوتسكي، المرجع السابق، ص 97.

على هزيمة السعوديين ، لأن محمد علي أقرب إلى النيل من الدولة العثمانية منه إلى السعوديين، وعلى أية حال فقد استجاب والي مصر لمطالب السلطان العثماني.[1]

إن الدولة العثمانية التي سيرت حملاتها العسكرية إلى شبه الجزيرة العربية أدركت أنها لم تكن موفقة إلى حد ما في قرارها السياسي الخاص بإسناد تلك المهمة إلى محمد على، فتقربت من الدولة السعودية الثانية وأمراءها من آل سعود،لاسيما وأنها قد لمست التفاف أبناء الجزيرة حول هذه الدولة السلفية، فكانت الدولة العثمانية تسعى إلى وضع كل العراقيل أمام تحركات والي مصر وأهدافه في الجزيرة العربية، حتى لا يتمكن من الوصول إلى العراق عن طريقها وذلك لإدراكها بمدى أفكاره وخططه السياسية في هذا المجال ليكمل بذلك دورانه حول الشام من الجنوب والشرق وبالتالي محاصرة العراق من الشمال والجنوب.

قامت الدولة العثمانية بتقديم مساعداتها للإمام فيصل في وسط الجزيرة العربية على شكل تدخل سياسي تمثل في التحريض المستمر وإبداء الرغبات للإمام فيصل بحرص الباب العالي على استمرار إمارته في نجد وتمكنه من القضاء على جيوش والي مصر.[2]

وأما فيما يخص موقف الدولة العثمانية من توسع محمد علي نحو السودان فإنه لا توجد هناك مواقف تذكر، في حين أن السلطان العثماني كلف محمد علي بإرسال حملة إلى بلاد المورة ، لإخماد الثورة القائمة بها عام 1824م فاستجاب لأوامره وأرسل ابنه إبراهيم باشا لتلك البلاد.

لكن والي مصر رفض عام 1828 م تلبية دعوة السلطان للمشاركة في الحرب الروسية التركية ، لاعتقاده أن ذلك الأمر لا يهم مصر كثيرا من ناحية، ولأنه أدرك أن السلطان كان يهدف إلى إضعافه وإنهاك قواته العسكرية في حروب عديدة خارج مصر من ناحية أخرى ،[3]كما أمتنع محمد علي عن دفع تعويضات الحرب التي فرضت على تركيا بموجب صلح "أدرنة"، وقد قدر بأنه دفع في بلاد المورة إتاوة دموية كافية لسنوات كثيرة آ تية، وكانت كريت لوحدها غير كافية لتعويض النفقات والمصاريف الكثيرة حسب رأيه، فطلب من السلطان أن يمنحه حكم بلاد الشام تعويضا لما خسره،[4]فكانت بداية توتر في العلاقة بينهما التي أدت إلى القطيعة وخروج محمد علي عن حكم الدولة العثمانية عام 1831م، بعد رفض السلطان عدم توليه بلاد الشام متذرعاً بهروب الفلاحين المصريين إلى فلسطين والتجاءهم إلى والي عكا كما أسلفنا سابقا.

---

[1]- السيد فرج، المرجع السابق، ص 46.

[2]- عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص ص 34 -228 – 230.

[3]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص 192.

[4]- لوتسكي، المرجع السابق، ص 118.

وكرد فعل على موقف السلطان العثماني قام محمد علي بإرسال حملته إلى بلاد الشام، وبعد معارك عديدة وصل إلى"جبال طوروس" ثم عرض الصلح على السلطان فرفض، مما دفعه للتقدم إلى "آسيا الصغرى"، وأحتل أدرنه وهزم الجيش العثماني عند "قونية".[1]

ومنذ ذلك الوقت بدأ العداء سافرا بينه وبين الدولة العثمانية التي أخذت تنظر إليه علىّ إنه أحد أتباعها المتمردين الذي لابد من إعادة إخضاعه بالقوة، وشعر محمود الثاني أن محمد علي نجح في كثير من الميادين التي نجحت فيها الدولة العثمانية، مما زاد في حسد ونقمة السلطان عليه فراح يطلب مساعدة الدول الأوروبية.[2]

قامت روسيا بتقديم المساعدة للباب العالي فأفزع هذا التدخل الروسي كل من بريطانيا وفرنسا، فأسرعتا لمصالحة محمد علي والسلطان العثماني وتم عقد صلح كوتاهية في ماي 1833م، لكن هذا الاتفاق لم يكن حل نهائي للنزاع بين الدولة العثمانية ومحمد علي.

وفي 25ماي 1838م أعلن والي مصر استقلاله عن الباب العالي، حيث أثار هذا الإعلان هزة دولية عنيفة وأصبح الموقف في طور الصراع الدولي بين بريطانيا وحليفتها الدولة العثمانية وبين محمد علي، ودارت معركة بين الطرفين قرب نصيبين عرفت "بمعركة نصيبين"في 14 جوان عام 1839م التي انتهت بانتصار الدولة العثمانية.[3]

إن موقف الدولة العثمانية من توسعات الباشا كانت تتماشى مع ما يخدم مصالحها، فسياستها في كثير من الأحيان كانت ترمي إلى إضعاف محمد علي واستنزاف موارده للحفاظ على مكانتها بين ولاياتها في المشرق العربي.

فرغم استجابة الباشا لبعض المهام التي كلفه بها السلطان العثماني، إلا أن هذا الأخير اختلفت مواقفه بين التأييد والرفض لسياسة الباشا.

المبحث الثاني : مواقف الدول الأوروبية

اختلفت مواقف الدول الأوروبية من توسعات محمد علي باشا، وذلك تبعا لاختلاف أطماعها ونزعاتها، فكل دولة كانت لها أهدافها وتوجهاتها الخاصة.

فبريطانيا كانت معادية لوجود محمد علي منذ البداية، لأنه قضى على وجود المماليك الذين كانت تتبنى قضيتهم حيث أرسلت من أجل دعمهم حملة "فريزر"على مصر 1807م كما أسلفنا سابقا، ولكن والي مصر استطاع هزيمتها، فزادت نقمة بريطانيا عليه، وازدادت أكثر إثر تعاونه مع فرنسا في عملية تحديث وتطوير مصر.[4]

---

[1]- مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص196.

[2]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص192.

[3]- نمير طه ياسين، المرجع السابق، ص 88.

[4]- مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 193.

بلغت تلك النقمة أوجها عندما توسع محمد علي في الجزيرة العربية، حيث أدى ذلك إلى تخوف بريطانيا التي كانت ترقب تطور الأوضاع ورأت أن القاهرة أصبحت تتحكم في الطريق نحو الهند والبحر الأحمر والمحيط الهندي والطريق البري عبر الخليج العربي، ولاسيما أن محمد علي عين وكلاء في " بومباي " وأخذ يصدر إلى الهند التجارة ذات المواد الأوروبية من سلع وبضائع، ففكر بعض قادة الانجليز في دعوة إبراهيم باشا لعمل مشترك ضد "القواسم" الذين عكروا تجارة البحر عبر السفن الانجليزية وتجارة شركة الهند الشرقية، إلا أن هذه الفكرة قد رفضت لعدم رغبة الانجليز في إخضاع ساحل الخليج أو جزء منه لقوات تابعة لحاكم مصر.[1]

وقد طلبت شركة الهند الشرقية من إبراهيم باشا الجلاء إلا أنه رفض ذلك كما رفض التسليم بالادعاءات البريطانية الخاصة بالخليج العربي، ورغم ذلك فقد سبقته إنجلترا وأرسلت سفنها الحربية إلى المرافئ الوهابية في غرب عمان وإلى البحرين، وفي 1820م عقدت معاهدة شارك فيها إمام مسقط وشيخ البحرين.[2]

وعندما حاول محمد علي احتلال ساحل عمان وجزر البحرين عارضت بريطانيا ذلك بشدة، وكلفت قنصلها في الإسكندرية إبلاغ محمد علي عزم بريطانيا على التدخل بقوة لو حاولت قواته غزو هذه المناطق.[3]

وبذلك حالت الدسائس الإنجليزية دون تثبيت أقدام المصريين في الخليج العربي، إضافة إلى أن المصريين لم تكن لديهم قواعد قوية في نجد، فبعد الانتفاضة الوهابية عام 1821م انسحبوا من أراضي نجد، وفي عام 1830 غادروا "الإحساء " ولم يعودوا إليها إلا في عام 1839م لكنهم لم يستقروا هناك طويلا، ولما حطم الانجليز حلم محمد علي في سوريا لجأت لضغط عليه في شبه الجزيرة العربية ليتم جلاءه منها على اثر توقيع معاهدة لندن 1840م.[4]

حققت السياسة البريطانية نجاحا في دفع محمد علي للاشتراك في ضرب الثورة اليونانية تحت غطاء مساندة السلطان العثماني وأوهمته بأنه سيكون أكبر زعيم في المنطقة، ويمكن أن يؤدي الأمر ليكون خليفة المسلمين بعد أن يضعف سلطان الخلافة، فيحين كان هدفها الأساسي هو الوقوف أمام النفوذ الروسي ومنعه من التسرب إلى سواحل البحر المتوسط من خلال مساندة الروس للثورة اليونانية.[5]

استجاب محمد علي لطلب السلطان فأرسل ابنه إبراهيم باشا، ونتيجة لتلك الإجراءات التعسفية التي ارتكبها إبراهيم في حق أهل اليونان عقدت الدول الأوربية معاهدة لندن 1826م، والتي بموجبها تم إرسال أساطيلهم

---

[1]- بيومي زكريا سليمان، المرجع السابق، ص 148.

[2]- لوتسكي، المرجع السابق، ص ص 104 - 105.

[3]- أحلام بنت علي بن أحمد أبو قايد، المرجع السابق، ص278.

[4]- لوتسكي، المرجع السابق، ص 105.

[5]- بيومي زكريا سليمان، المرجع السابق، ص124.

إلى شواطئ اليونان لمنع التدخل المصري العثماني في بلاد المورة، غير أن موقعه نافارين لم تكن كافية لاستقلال اليونان ولذلك أصبح من المحتمل تدخل الحلفاء في أمرها، فاقترح " بالمرستون " وزير خارجية انجلترا أن يحتل بلاد المورة 06 آلاف من الجنود الانجليزية ومثلها من الفرنسيين حتى يمنحها الباب العالي استقلالها، فأبى البرلمان الانجليزي ذلك وقامت فرنسا بالأمر وحدها.

وعند ذلك ظهر الإنجليزي" كدرنجتون "في المياه المصرية عند الإسكندرية، وارجع بعض السفن التي كانت متجهة لمساعدة إبراهيم ثم أرسل إلى محمد علي إنذارا نهائيا بتخريب الإسكندرية إذا لم يسرع إبراهيم بإخلاء المورة. وبمساعي المستر " بركر " السفير الانجليزي في مصر تم الاتفاق مع محمد علي على إخلاء بلاد المورة بشروط:

1. أن يطلق محمد علي سراح الأسرى اليونانيين.
2. أن تتخلي الجيوش المصرية عن " المورة " بحيث ينقلهم محمد علي على سفنه.
3. أن يخفر الأسطول الانجليزي السفن المصرية في ذهابها و إيابها.
4. أن يتعهد " كدرنجتون " بإرجاع أسرى المصريين وسفنهم التي أخذت منهم.

ويقال أن محمد علي قبل هذه الشروط بدون معارضة.[1]

رأت الحكومة البريطانية والساسة البريطانيون أنه من الضروري إيقاف تحركات محمد علي، لاسيما وان حكومته في الشام تسيطر على معظم أقاليم بلاد الشام الذي يعتبر من الطرق الهامة لتجارة التاج البريطاني الهندي التي تمر بالعراق والخليج العربي، مع إدراكهم إلى أن نظام الاحتكار الذي يطبقه الباشا يتعارض مع مصالح بريطانيا الاقتصادية.

بعث السفير البريطاني في الأستانة " ستراتفورد كاننج " تقرير إلى الحكومة البريطانية، طلب فيه شن هجوم على مصر لإيقاف ذلك الخطر، لأن مصالح بريطانيا التجارية باتت مهددة من جراء تلك الحرب التي قام بها محمد علي في الشام،في حين بعث الوزير البريطاني "بالمرستون" رسالة إلى اللورد "جرانفيل" قال فيها : «.....ينبغي إرغام محمد علي باشا بحصر نفوذه في مصر فقط، لأن احتلال سوريا سوف يؤدي بالضرورة إلى احتلال بغداد، وإقامة دولة واحدة تتكون من مصر وسوريا والعراق بزعامة محمد علي لن تفيد بريطانيا في شيء».[2]

[1]- عمر الأسكندري، المرجع السابق، ص ص 170- 171.

[2]- عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص250.

فبريطانيا لم توافق أولا على وجود دولة قوية في طريقها إلى الهند، فاهتمامها كان قد بدا بربط طريق برزخ السويس بالطريق البري الأخر الذي يصل إقليم الرافدين والخليج العربي بسواحل سوريا، وكان الكابتن "شسنى" قد بدأت تجاربه في تسيير السفن في نهر دجلة والفرات.

ولم تكن بريطانيا لترضى أن تتلقى الدولة العثمانية هذه الطعنات من محمد علي الذي يمثل انتصاره خطراً يهدد مواصلاتها ويتعارض مع مصالحها الاقتصادية،خاصة وان الدولة العثمانية آنذاك قد أصبحت سوقاً هاماً لصادرات الانجليزية.[1]

وفي سبتمبر 1834م أرسل والي مصر مذكرة لدول الأوروبية تندد بالخطر الروسي، ويطلب منها أن تعترف باستقلاله في مقاومة النفوذ الروسي في المنطقة فرفضت بريطانيا ذلك، [2]وكانت على رأس الدول الأوروبية التي أجبرت الباشا على الانسحاب من بلاد الشام والاقتصار على حكم مصر.[3]

أما موقف فرنسا فقد كان متناقضاً، إذ جاهرت بالإعجاب بمحمد علي ومناصرته من جهة في حين أنها وقفت ضده إلى جانب الدول الأوروبية في بعض المواقف من جهة أخرى.

ففرنسا كانت ترى في "محمد علي" نابليون أخر ظهر في بلاد الشرق، وان تجربته كانت لديها محل تقدير وإعجاب لأنها شاركت في إنجاحها بإمداده بالخبراء لتدريب جيشه، واستقبال البعثات العلمية من أبناء مصر وسوريا.[4]

ولقد بلغ تعاطف فرنسا مع والي مصر ورعايتها له إلى حد أن قنصلها في مصر لم يعترض على نظام الاحتكار الذي كان محمد علي يطبقه على الرغم من مخالفته الاتفاقيات الدولية، حتى أن الرعايا والتجار الفرنسيين كانوا يضحون أحيانا بمصالحهم إرضاءً لوالي مصر.

وقد ذكر "بالمرستون" أنه في الوقت الذي كان فيه محمد علي مجرد والٍ وخادم للسلطان، كان يسعى لتقوية مصر.

---

[1]- محمد عبد الرحمان برج، التاريخ العربي الحديث والمعاصر، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية،2010م، ص47.

[2] -محمد حسن العيد روس، دراسات في تاريخ المشرق العربي الحديث، دار الكتاب الحديث، القاهرة،2010م، ص186.

[3]- مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص120.

[4] - محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص 193.

كما ابلغ السفير التركي الباب العالي أن فرنسا تعد نصيراً لمصر وان صحافتها تأتي على ذكر الباشا بلهجة استحسان، وأكد أيضا على أن عدداً من التجار الفرنسيين ينشرون في الصحف الفرنسية معلومات تعود بالفائدة على محمد علي، وإنهم يسعون لاستمالة عقول الفرنسيين نحوه.[1]

غير إن فرنسا كانت من ضمن الدول الأوروبية التي أرسلت أساطيلها إلى البحر المتوسط لمنع وصول إمدادات عثمانية أو مصرية للقوات التي تحارب الثوار اليونانيين، إلا انه بعد هزيمة والي مصر باليونان رغبت فرنسا في أن تجره نحوها، فعرضت عليه دخول الجزائر وتونس وليبيا على حسابها حيث تؤمن له الحماية البحرية. [2] تبنى الباشا الاقتراح وعين ابنه إبراهيم باشا على جيش قوامه48 ألف جندي، وطلب من فرنسا أن تعطيه بالإضافة إلى الأموال 04سفن حربية مزودة ب 80 مدفعاً، فرفضت فرنسا ذلك، كما عرضت عليه مشاركة الأسطول الفرنسي في الحملة، لكن الباشا لم يرغب في مشاركتها لأنه أراد الدخول إلى المغرب في ظل راية الإسلام، ثم اقترحت عليه أن تستولي هي على الجزائر، في حين يستولي هو على تونس وليبيا والمغرب، فقوبل عرضها بالرفض وهذه المرة بصورة نهائية وكرس والي مصر بعدها جهوده لشؤون سوريا.[3]

تخوفت فرنسا من تقدم الجيش المصري واقترابه من عاصمة الدولة العثمانية لان ذلك يمثل خطراً بالنسبة لها فكانت تخشى أن تقيم بجوارها قوة جديدة فتية، لا قبل لروسيا بمشاكلها وهي التي تعودت أن تنال بالتهديد العديد من الامتيازات من الباب العالي المتخوف دائماً منها، لذلك استخدمت علاقاتها الودية مع محمد علي لإقناعه بتسوية الخلاف بينه وبين السلطان وكانت تؤيد وتلح في إعطاءه مصر وسوريا وأدرنه، محاولة منها لمد نفوذها في منطقة الباشا لمواجهة النفوذ البريطاني في المنطقة.[4]

فحكومة فرنسا وقادتها تعاطفوا مع والي مصر الذي اتخذ من الفرنسيين الغالبية العظمى من مستشاريه، ولكن أسرة"البربون"التي عادت إلى عرش فرنسا اتصف موقفها بالتخاذل لعدم استنادها لتأييد شعبي وغلب الجمود والتردد على سياستها الخارجية التي اتصفت في كثير من المناسبات بالتبعية لسياسة البريطانية.[5]

ولقد أثار انتصار الجيش المصري على السلطان العثماني في معركة "نصيبين" 1838م قلق الدول الأوروبية

---

[1]- أنهل ألكسندرو فنادولينا، الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن19، تر: أنور محمد إبراهيم، مجلس الأعلى لثقافة القاهرة1999م، ص700.

[2] – محمود شاكر، المرجع السابق، ص486.

[3]- لوتسكي، المرجع السابق، ص118.

[4]- هدى علي بلال، المرجع السابق، ص347.

[5] – جميل عبيد، قصة احتلال محمد علي لليونان، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1990م، ص121.

فوقفت كلاً منها موقفاً مختلفاً تبعاً لاختلاف أطماعها ومصالحها، ففرنسا كانت تميل إلى إقرار والي مصر على سوريا وجزيرة العرب طبقاً لاتفاقية "كوتاهية"1833م.[1]

أما روسيا كانت منذ عهد بعيد تطمع أن تصل أساطيلها إلى المياه الدافئة في منطقة البحر المتوسط، ولذلك كانت تخشى انهيار الدولة العثمانية على يد محمد علي فتحل بذلك قوة يافعة نشطة محل الدولة العجوز.[2]

إن الانتصارات التي حققتها القوات المصرية ببلاد اليونان بقيادة إبراهيم باشا أثارت انتباه الدول الأوروبية وبالأخص روسيا التي كان لها التدخل الأسبق في 1825م عندما تولى "نقولا الأول" عرش روسيا، حيث قامت هذه الأخيرة بعقد اتفاق مع كل من بريطانيا وفرنسا بشان قضية اليونان.[3]

كما لفتت انتصارات إبراهيم باشا أنظار روسيا فتدخلت عسكرياً في تلك الآونة لتمنع الجيش المصري من التقدم نحو اسطنبول والإطاحة بالحكومة العثمانية، ولاغرو فقد كان الروس يخشون أن يستولي والي مصر على مركز السلطة ويستبدل السلالة الحاكمة بسلالة جديدة قوية تهدد مصالحهم، ولذلك وقف الروس إلى جانب العثمانيين ووقعوا معاهدة"هنكيار إسكلسي" التي تعهد الروس بموجبها مؤازرة الدولة العثمانية في حال تعرضها للخطر.[4] لكن "بالمرستون"أحتج على هذه المعاهدة ووقف بالمرصاد أمام محمد علي وأوضح له أن إنجلترا ستقف ضده إذا قامت حرب بينه وبين الدولة العثمانية، وكان الدافع الأكبر بالمرستون في الأزمة المصرية هو مصالح انجلترا في الشرق.

ولقد احتجت انجلترا وفرنسا على هذه المعاهدة التي كانت ترى فيها الدولتان تدميرا لاستقلال الدولة العثمانية وبسط لحماية روسيا، مما زاد حقد بالمرستون على روسيا ولم تكن صداقة روسيا لإنجلترا في عام 1839م لتعني أن إنجلترا تجلت على تخلت سياستها، وإنما حدث أن روسيا في هذه السنة حاولت العمل على مجاملة إنجلترا وتأييدها في سياستها في وقف محمد علي عند حده.[5]

بعد معركة نصيبين التي حقق فيها الجيش المصري انتصارا كبيراً، أسرعت روسيا بإعلان رغبتها في عدم تطبيق شروط معاهدة "هنكيار إسكلسي" وكان من رأي روسيا حينئذ أنه مادام محمد علي لم يهدد وجود تركيا بأوروبا

---

[1] – هدى علي بلال، المرجع السابق، ص347.

[2] – محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص194.

[3] – السيد فرج، المرجع السابق، ص355.

[4]– دونالدكواترت، الدولة العثمانية1700م/1922م، تع : أيمن الأرمنازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 2004م، ص118.

[5]– عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815-1919، دار المعرفة الجامعية ، [د م]، 2000م، ص99.

ومادامت المفاوضات بشأن الصلح جارية بين الجانبين، يحسن بالدول أن تراقب الحالة من غير تدخل ما لم يرفض والي مصر شروط الصلح مع السلطان رفضاً نهائياً.[1]

أما فيما يخص موقف النمسا من سياسة محمد علي التوسعية، فقد تأرجح بين التأييد من جهة والمعارضة من جهة أخرى، وذلك حسب مصالحها الخاصة.

أرسل الوزير النمساوي" مترنيخ بروكش أوسنتم"* إلى الإسكندرية، لغرض تحريض الباشا ضد الثوار في اليونان وإقناعه بضرورة التعجيل في إرسال حملة لسيطرة التامة على اليونان، وهدف النمسا من ذلك تحقيق سياستها القائمة على احترام الشرعية الملكية، وذلك بقطع الطريق على روسيا والقوى الأوروبية إذا حاولت التدخل ضد الدولة العثمانية.

وقد بين هذا المبعوث للباشا أن استقلال اليونان يعود على مصر بأضرار كثيرة أولها الخطر المباشر على التجارة المصرية، كما انه حاول إثارته ضد بريطانيا، فسياستها لا تهدف إلا لإضعافه وتحطيم مكانته، بالإضافة إلى ذلك أكد له أن النمسا تؤيد الباب العالي ومحمد علي فيما يقومان به لإخضاع الثورة اليونانية.

لم يقتنع والي مصر بأقوال المبعوث النمساوي، لان هدفه الأسمى هو الاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية.[2]

يذكر"جورج انطونيوس"في كتابه "يقظة العرب" «أن"مترنيخ" السياسي النمساوي يبين الخطوط العامة لمقترحاته، التي يريد عرضها على محمد علي في شيء من التفصيل في مذكرة مؤرخة في 17 ماي 1833 تضمنت"أن يتولى محمد علي الخلافة، وان يؤسس إمبراطورية عربية تشمل: مصر والسودان وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق"»، ويبدو أن هذا الاقتراح كان يدل على أن الحكومة النمساوية تؤيده.[3]

أما من ناحية معارضة النمسا لسياسية محمد علي فنجد أن "مترنيخ" كان يتزعم سياسة الحفاظ على الملكيات والإمبراطورية الشرعية، لذا هاجمت سياستها وحكومتها أي تحرك قومي أو وطني في أي مكان، واتخذت من جيوشها رقيباً متيقظاً لأي تحرك لصالح اليونان.[4]

---

[1]– محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1، الأميرية ببولاق، القاهرة، 1934م،ص183.

*–هو سياسي نمساوي ولد سنة1773م، وعين سفيرا للنمسا في 1806م، وأنتخب رئيسا لمؤتمر ويانه سنة 1814م، اشتهر بمعارضة انتشار الحرية في أوروبا، ولذلك أعتزل الأعمال بعد حركة 1848م العمومية، وبقي في العزلة إلى أن توفي 1859م.أنظر: محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص 457.

[2] – جميل عبيد، المرجع السابق، ص ص130–131.

[3] – جورج أنطونيوس، المرجع السابق، ص67.

[4] – جميل عبيد، المرجع السابق، ص120.

فالنمسا كانت تؤيد تعزيز مركز الدولة العثمانية حتى لا تعطي الفرصة لروسيا للتدخل في شؤونها وفرض حمايتها عليها لذلك كانت تقف في وجه محمد علي حتى لا تترك الفرصة لروسيا بالتدخل إلى جانب الدولة العثمانية.[1]

بعد معركة "نزيب "كانت النمسا تنظر إلى قيام محمد علي ضد تركيا كثورة على الحاكم الرسمي، ومبدأها مقاومة الثورات القومية التي يراد منها الخروج على سلطة الحكومة الرسمية، ولما علم قناصل الدول بالأستانة بتسليم الدونانمة التركية، [2]أرسلوا لائحة مشتركة للباب العالي، يطلبون منه أن لا يقر شيئاً في أمر المسألة المصرية إلا بإطلاعهم.فقبل الباب العالي هذه اللائحة واجتمع السفراء وتداولوا فيما يجب إعطاؤه لمحمد علي، فأقرت انجلترا والنمسا بضرورة إرجاع الشام للدولة العلية، لكن ذلك لقي معارضة من طرف فرنسا ثم طلب المسيو "مترنيخ " أن يعقد مؤتمر دولي في مدينة "فينا" لإتمام المداولات بشأن المسألة المصرية، لكن ذلك حال دون تحقيق ذلك لاختلاف وجهات نظر السفراء.[3]

هكذا تضاربت ردود فعل الدول الأوروبية حول مشروع محمد علي، فجاهرت انجلترا بعدائها لمصر منذ البداية وأعلنت وجهة نظرها في وجوب المحافظة على كيان السلطنة العثمانية،كما أخذت تؤلب الدول الأخرى على مصر ليشتركوا معها في إخضاعها، ففرنسا بالرغم من كونها صديقة لمحمد علي إلا أنها انحازت في الأخير نحو حلفائها. أَما روسيا فقد كانت تسعى دائما للوصول إلى المياه الدافئة لذلك خشيت على الدولة العثمانية من محمد علي باشا.

المبحث الثالث: التسوية الدولية وانسحاب محمد علي

فتح إبراهيم باشا باب الأستانة عندما تغلب على قوات الجيش التركي في معركة "نزيب"، غير أنه فتح باب أخر طلت منه الأطماع الأوربية، فاجتمعت كلمة الدول العظمى على مناهضة محمد علي وإضاعة كلمة النصر من بين يديه.

ففي 27جويلية 1839م رأت فرنسا أن الفرصة سانحة لعزل روسيا ومنعها من التدخل في تلك المسالة فأرسلت الحكومة الفرنسية بلاغا للدول الأوروبية لتبلغه لتركيا مفاده « أن الدول الأوروبية توافق تمام الموافقة على أفكار الباب العالي السلمية لكنها تشدد على أن لا يتم صلح مع محمد علي ما لم يوافق عليه الحلفاء الذين بتدخلهم يمكنهم أن يحصلوا للسلطان على شروط مضمونة وأكثر موافقة لمصلحته».

[1] – عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص103.

[2] – عبد الرحمان الرافعي، المصدر السابق، ص288.

[3] – محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص ص255 – 457.

قُبل هذا البلاغ بالترحيب من انجلترا والنمسا ورأت هذه الدول أن الوقت قد حان لشروع في العمل، ليس لمنع روسيا من التدخل بمفردها فحسب بل لإيقاف مطامع والي مصر.

ولما علم "مترنيخ"بذلك رأى أن التصريح الذي أرسلته الحكومة الفرنسية إذا أعلنته الدول متحدة للباب العالي فان المفاوضات بين السلطان العثماني ومحمد علي لابد أن توقف مراعاة لرغبة الدول، وفعلا أرسل مذكرة في 27جويلية 1839م الشهيرة لسفيره بالقسطنطينية لتسليمها للباب العالي، الشيء الذي لم تكن لتتوقعه فرنسا التي كانت تعتقد أن حكومة روسيا لا يمكن أن تشترك مع باقي الدول في اتخاذ هذه الخطوة، ولكن الانضمام الروسي المفاجئ إلى جانب الدول كان بمثابة ضربة لفرنسا جعلتها تضطرب وتحتار في سياستها، وقربت بين انجلترا وروسيا الأمر الذي دعا"بالمرستون"Palmerston" للاستعاضة بها عن فرنسا.[1]

انتهزت روسيا فرصة الخلاف بين انجلترا وفرنسا بشأن تسوية هذه المسألة، ففرنسا كانت تريد أن ينسحب محمد علي من "الجزيرة" و"أدرنه" و"كريت"، وان يبقى له الحكم وراثيا في مصر وسوريا والسودان، في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تصر على أن ينسحب والي مصر من كل المناطق التي احتلتها، وان يبقى له حكم مصر فقط.[2]

لجأت روسيا إلى بريطانيا وأظهرت أنها موافقة على هذا الحل وأرادت روسيا بذلك أن تعزل فرنسا وتشترك الدول الأخرى في تقرير مصير هذا النزاع بعقد مؤتمر لدول الأربعة الكبرى في لندن، وأجرت بريطانيا مفاوضات مع روسيا والنمسا وبروسيا انتهت بعقد "معاهدة لندن"في 15جويلية1840م بين بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا والدولة العثمانية ولم تشارك فرنسا فيها.[3]

وتشمل هذه المعاهدة على أربع بنود هي:

1. أن تعمل الدول المتفقة بالتضامن على إرغام محمد علي، على قبول الشروط التي اتفق عليها.

2. إذا رفض الباشا قبول الشروط التي سيعرضها عليه السلطان، فعلى الدول المتفقة مع السلطان أن تأخذ التدابير الفعالة لتنفيذ شروط الاتفاق، بواسطة قطع طريق الاتصال بين مصر وروسيا، ومنع إرسال الأدوات والمؤن الحربية من البلدان، وتنفيذا لذلك تصدر ملكة بريطانيا وإمبراطور النمسا، الأوامر اللازمة لأسطوليهما بالبحر الأبيض المتوسط لمساعدة رعايا السلطان، الذين يظهرون ولاءهم وطاعتهم.

---

[1]- محمد رفعت، المصدر السابق، ص ص183- 184.

[2]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص194.

[3]- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (المرجع السابق)، ص ص319 - 320. أنظر: الملحق رقم15، ص74.

3. إذا حاول والي مصر بعد إصراره على رفض الشروط المقدمة، إرسال قواته البرية أو البحرية نحو القسطنطينية، فإن الدول بواسطة سفرائها بهذه الأخيرة تعمل بناء على طلب السلطان،كل ما يصون البوغازات والأستانة وتعود القوات التي تستخدم لهذا الغرض إلى بلادها عندما يأمر السلطان.

4. يجب ألا تعتبر هذه المساعدة المذكورة في المادة السابقة بمثابة خرق القاعدة القديمة القائلة بإغلاق البوغازات أمام جميع السفن الحربية الخاصة بأية دولة، وتصرح الدولة والسلطان باحترام هذه القاعدة القديمة.[1]

في حين ألحقت هذه البنود بقانون خاص ملحق بالمعاهدة ، ويتضمن هذا الأخير المسائل التي تعهد السلطان بعرضها على محمد علي منها :

1. يعد السلطان بمنح محمد علي وأولاده من بعده حكومة مصر، وزيادة على ذلك يعد السلطان بمنح محمد علي مدى حياته حكومة الشام حسب الحدود المعينة، مع إعطائه لقب والى عكا ويشترط السلطان لهذه المنح، قبول محمد علي مدة عشرة أيام.

2. إذا رفض محمد علي الشروط المقدمة بعد عشرة أيام، فيسحب السلطان مرهـ حكومة عكا لمدى حياته.

3. تعين الجزية حسب الشروط التي سينتهي محمد علي بقبولها.

4. القوات البرية والبحرية التي تكون لباشا مصر تطبق على مصر وعكا وتعتبر جزءاً من قوات الدولة.[2]

أما إن استمر الباشا في زحفه نحو اسطنبول فستقدم تلك الدول مساعدات للسلطان للمحافظة على عرشه وستبقى تلك القوات لتأمين المضايق والعاصمة طالما أن السلطان في حاجة لها.[3]

فوجئت فرنسا بخبر إبرام المعاهدة واعتبرت إبعادها إهانة، فأعلن رئيس وزارتها"تييرس Thiers"*أن العلاقات الجيدة مع انجلترا قد انهارت ، وراح يعجل الاستعدادات العسكرية، ويحرض محمد علي على رفض الاتفاقية وتعده بالمساعدة[4].

---

[1]- محمد عرابي نخلة، المرجع السابق، ص204.

[2]- محمد رفعت، المصدر السابق، ص 205.

[3]- ميمونة حمزة المنصور، تاريخ الدولة العثمانية، ط1، دار حامد، عمان،2008م، ص 85 .أنظر: الملحق رقم16، ص75.

*- هو: سياسي شهير ولد في مرسيليا في 16 فريل 1797م، تعلم الشريعة في مدارس مرسيليا واكس، واشتغل بالمحاماةإلى1821مسافر إلى باريس واشتغل بالتحرير في الجزائر، صار رئيسا لمجلس النظار في سنة 1836م، وعهدت إليه أيضا نظارة الخارجية واستمرت وزارته الى1836/9/6م، ثم عاد إلى منصة الأحكام في 1840، توفي سنة 1879م. انظر :محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ص 462-461.

[4]-محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص367.

لكن فرنسا أدركت في آخر الأمر أن استعداداتها لا تغير من موقف الدول المؤتمرة ، وأنها لا قبل لها بأن تخوض غمار حروب أوروبية، فتراجعت وتركت مصر وحدها أمام الدول المؤتمرة.[1]

رفض محمد علي بنود هذه المعاهدة ، وبذلك بدأت المناوشات بينه وبين الحلفاء الأربع ، حيث وصلت أساطيل الحلفاء بقيادة"ستوبفورد Stopford"و"نابيرNapier"الانجليزيين، ومعها جيش عثماني مؤلف من 4,000جندي فشرعت الأساطيل في إطلاق قنابلها على بيروت ابتداء من سبتمبر1840م.[2]

ولما وصل الخبر إلى إبراهيم في دمشق، سير مددا إلى بيروت هزم في الطريق، ثم انزل الحلفاء قوة عند صيدا فاستولت عليها ثم استولت الأساطيل على عكا، وكانت فيها حامية مصرية عظيمة، فلم تقوى على المقاومة أكثر من ثلاثة أيام.

اضطر محمد علي أن يرسل لأبنه أمر بالانسحاب من الشام، فأصدر إبراهيم أوامره إلى جيشه في29ديسمبر1840م بالجلاء وقد كان يتألف من 55,000جندي بصحبتهم150مدفعا، وكان يتبع ذلك الجيش نحو سبعة آلاف من الأسرات والأتباع وقد قسم إبراهيم جيشه إلى خمسة أقسام.

وفي 25يناير1841م، وصل القسم الأول من جيش إبراهيم إلى غزة، أما القسم الثاني فقد سار عن طريق صحراء السويس ظنا أنه سيرسل إليه من مصر الزاد والماء، ولكن خاب أمله.[3]

بعد سقوط عكا عرض الكمودور "نابيرNAPIER"على محمد علي باشا أن الحكومة الانجليزية تسعى لدى الباب العالي في إعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام، فامتثل لهذا الأمر وقبل هذه الشروط للاحتفاظ بمصر لذريته.

لم يقبل الباب العالي هذا الاتفاق إلا بعد تردد وتداول عدة مخاطبات بينه وبين وكلاء الدول الأربع المتحدة وصدر بذلك فرمان في14جانفي1841.[4]اشتمل على مايلي:

1. الولاية تكون لمن يختاره الباب العالي من أولاد محمد علي باشا الذكور.
2. يجب على من يختاره السلطان ولي على مصر أن يسافر بنفسه إلى القسطنطينية لتسلم تقليد التولية بيده.
3. –الذي ينتخب واليا لمصر يعتبر كأحد وزراء الدولة في مخاطباته مع الباب العالي في المقابلات السلطانية .

[1]– عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 292.

[2]– عمر الأسكندري، المرجع السابق، ص191.

[3]– الجمعية الملكية لدراسات التاريخية، المرجع السابق، ص398.

[4]– محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص469.

4. لا يكون لوالي مصر الحق في منح الرتب العسكرية للضباط البحرية والبرية.[1]

5. يسرح الجيش المصري ويخفض عدده إلا18ألف جندي.

6. يدفع محمد علي للدولة العثمانية عائدات سنوية قدرها 4000آلاف جنيه.

7. تسري قوانين الدولة العثمانية على مصر بوصفها ولاية عثمانية تتمتع باستقلالها الداخلي.[2]

قبل محمد علي بهذه الشروط، غير انه طلب من الدول أن تساعده في تخفيف بعضها وتغيير البعض الآخر فقبلت ذلك، وأرسلت إلى الباب العالي لائحة بتاريخ 13مارس1841، طلبت منه أن يعاملها على حسب ما هو مدون بملحق معاهدة 15جويلية1840.فلبى السلطان العثماني ذلك الطلب ،كما منح الباب العالي ولايات "النوبة" و"دارفور" و"كردفان"و"سنار" لمحمد علي مدى حياته، دون أن تنتقل إلى ورثته في مصر.[3]

وبمقتضى هذا الفرمان وصل القسم الثالث من الجيش بقيادة إبراهيم باشا إلى غزة، بعدما واجه متاعب في طريقه ومات الكثير من جنوده.

أرسل إبراهيم إلى أبيه يطلب إليه إمداده بالمؤونة والملابس والسفن لنقل الجيش بحرا إلى الإسكندرية، وأخلى غزة يوم 19 فبراير 1841م، وبذلك تم إخلاء الجنود المصرية لسوريا.

وقد بلغ عدد الجنود الذين عادوا إلى مصر نحو أربعين ألف مقاتل، في حين فقد الجيش خلال انسحابه من الشام ثلاثين ألف جندي.[4]

انصرف والي مصر بعد هذا الاتفاق إلى الاقتصاد لإصلاح مالية البلاد فأوقف كثيرا من المدارس العمومية التي كان قد خصص لها مبالغ معلومة للنفقة.[5]

ونخلص في نهاية الفصل إلى أن محمد علي وقف إلى جانب الدولة العثمانية، ولبى جميع الأوامر التي كلفه بها السلطان محمود الثاني كقضائه على الدعوة السلفية في الجزيرة العربية، وإخماده الثورة القائمة في اليونان، في حين نجده يعارض السلطان عندما طلب منه المشاركة في الحرب الروسية التركية، ومما زاد حدة التوتر بينهما دخول إبراهيم باشا إلى بلاد الشام، ونتيجة للانتصارات والمكاسب التي حققها إبراهيم على السلطان العثماني استنجد هذا الأخير بالدول الأوروبية خاصة روسيا.

---

[1] عمر الأسكندري، المرجع السابق، ص ص 193 194.

[2] – إسماعيل أحمد ياغي، تاريخ العالم المعاصر، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،2000م، ص 241.

[3] – محمد فريد المحامي، المصدر السابق، ص ص473– 474.

[4] – عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 304.

[5] – جرجي زيدان، تاريخ مصر الحديث مع فذلكة في تاريخ مصر القديم، ج2، مطلعة المقتطف، القاهرة،1889 م،ص247.

ولقد آثار مشروع محمد علي انتباه الدول الأوروبية فتأرجحت مواقفهم بين التأييد له تارة، وبين الرفض تارة أخرى خصوصا فرنسا وإنجلترا، وذلك حسب مصالحهما، أما روسيا والنمسا فقد عارضت سياسته منذ البداية وذلك من أجل الحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية، وفي الأخير لجأت كل من إنجلترا، النمسا، روسيا، بروسيا إلى عقد معاهدة مع الباب العالي عرفت بـ"معاهدة لندن" في 15 جويلية 1840م، كانت بمثابة إلغاء لنتائج معركة "نزيب"من جهة، وانتصار لتلك الدول من جهة أخرى، أما الدولة العثمانية فقد دخلت بموجب هذه المعاهدة تحت وصاية الدول الأوروبية، كما منحت محمد علي وأسرته حكم مصر من غير رغبة منها وإنما بضغط من الدول الأوروبية.

خاتمة

بعد دراستنا لشخصية محمد علي والإصلاحات التي قام بها وتوسعاته في كل من الجزيرة العربية والسودان واليونان وبلاد الشام خلصنا إلى النتائج التالية:

1 – جاء محمد علي إلى مصر بطلب من الباب العالي لطرد الحملة الفرنسية، وبعد خروج هذه الأخيرة شهدت مصر عدة صراعات مهدت لمحمد علي الوصول إلى منصب الوالي في مصر حيث تم له ذلك في 1805م.

2 – يرجع نجاح محمد علي في مشروعه الإصلاحي إلى رغبته في الوصول بمصر إلى مصاف الدول الغربية، حيث قام بتكوين جيش على أسس حديثة مستعيناً بالدول الغربية خاصة فرنسا، وفي المجال الإداري أعاد تنظيم الإدارة الحكومية من خلال قانون الأساسي الذي أقره (قانون نامة) في سنة 1837، أما الجانب العلمي والاقتصادي فقد اتجه إلى إنشاء المدارس وإرسال البعثات العلمية للخارج، وأهتم بالزراعة وذلك بإدخال الصناعات الكبرى والتبادل التجاري مع الدول الغربية.

3 – شرع محمد علي في توسيع رقعة حكمه بتوجهه نحو الجزيرة العربية لإخماد حركة الوهابين، وبفضل جهود ابنيه"طوسون" و"إبراهيم" تمكن من إسقاط الدولة السعودية الأولى، لينتقل بعدها إلى ضم السودان الشرقي لإكمال حلمه المتمثل في بناء دولة موحدة على ضفاف النيل، فاستولى على كلاً من "دار فور" و"كردفان" و"سنار"،كما قام بتقسيم السودان إلى سبع مديريات(دنقلة، بربر، الخرطوم، كردفان،كسلة، سنار فازوغلي) على أن يتولى الحكم في السودان حكم دار السودان.

4 – وبطلب من السلطان العثماني توجه محمد علي إلى إخماد الثورة في بلاد اليونان فخاض العديد من المعارك مع الثوار، غير انه في الأخير مني بهزيمة نكراء نتيجة لتكالب الدول الأوروبية عليه وتحطيم أسطوله في معركة "نافارين"1827م.

5 – كانت حروبه في بلاد الشام حروباً دفاعية وهجومية في آن واحد، فأما كونها حروباً دفاعية فلأنه كان يعلم أن الدولة العثمانية لن تدخر جهداً في السعي لاسترداد مركزها في مصر، أما كونها حروباً هجومية لأنه كان يهدف لسيطرة عليها عندما كانت تمر بمرحلة التدهور والتفكك وأصبحت محطة أنظار ومؤامرات الدول الأوروبية.

6 – حقق إبراهيم باشا انتصاراً كبيراً على الدولة العثمانية خلال حروبه في الشام، الأمر الذي جعل الباب العالي يستنجد بالدول الأوروبية، فتدخلت روسيا لتقديم المساعدة وعقدت معاهدة "هنكار إسكلسي" مع الدولة العثمانية.

7 – كانت معركة"نصيبين" بين إبراهيم باشا والدولة العثمانية منعرجاً حاسماً في تطور الصراع القائم بينهما فتدخلت الدول الأوروبية للحد من انتصارات إبراهيم والحفاظ على كيان الدولة العثمانية في ظل المسألة الشرقية.

8 – اختلفت مواقف الدول الأوروبية من سياسة محمد علي التوسعية بين السلب والإيجاب وذلك حسب مصالحها وأهدافها، ففي الوقت الذي كانت فرنسا تؤيده في كثير من المواقف كانت إنجلترا و روسيا تقف عكس ذلك خاصة وهي في حالة ضعف،كما أن وجود الدولة المصرية بقوتها على الساحة الدولية أصبح يشكل تهديداً

لمصالح تلك الدول، وعلى رأسها بريطانيا التي وجدت في سياسة محمد علي تهديداً لمصالحها في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، وخطراً على مصالحها في الهند.

8- كان محمد علي يهدف من خلال توسعاته إلى إقامة إمبراطورية عربية قوية تضم كل من الجزيرة العربية والسودان وبلاد الشام، إلا أن أحلامه وآماله تحطمت بعد توقيع معاهدة لندن 1840م، وبذلك فشلت مشروعاته لأنها لم تتفق مع مصالح الدول الأوروبية والباب العالي الذي بذل جهوداً للقضاء على حركته الانفصالية، بعد تهديده لعاصمة الخلافة إسطنبول.

9- وبالرغم من ذلك كله فإن مصر أصبحت في عهد محمد علي دولة قوية شغلت السياسة العالمية، بإصلاحاتها وتوسعاتها، وبالرغم من إخفاقه في مشروعه التوسعي إلا انه استطاع أن يظفر بمصر كمملكة وراثية له ولأولاده من بعده.

وإننا إذا قمنا بالتطرق لهذه الشخصية الكبيرة من ولاة الباب العالي في ذلك الوقت ألا وهو محمد علي هذه الشخصية التي كان من أبرز صفاتها الدهاء السياسي والأطماع التوسعية، فإنه يجدر بنا في الأخير أن نشير إلى أنها شخصية ملهمة لكثير من دارسي التاريخ الحديث، بما انطوت عليه من عناصر القوة والضعف معاً، وهذا مايسهل استخلاص العبر طالما أن التاريخ يعيد نفسه.

وعموماً فإن ما توصلنا إليه من خلال بحثنا هذا حول السياسة التوسعية لمحمد علي لا يمثل إلا جزء من واقع الأحداث المجددة لدراسة، نتيجة لافتقادنا للمادة الوثائقية، مما جعلنا لانتمكن من تحليل الأحداث بصورة مطابقة لواقعها.

وختاماً نعتقد أننا على الأقل اجتهدنا قدر المستطاع والمتاح في تقديم هذا الموضوع، مع إقرارنا بوجود نقائص نتمنى أن تكتمل ببحوث أخرى إن شاء الله.

ملاحق

الملحق رقم1:خريطة تبين مواقع الحملة الانجليزية

عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989م، ص 55.

الملحق رقم2: خريطة توضح الحرب الوهابية و المواقع التي تم ذكرها في المبحث الأول في الفصل الثاني

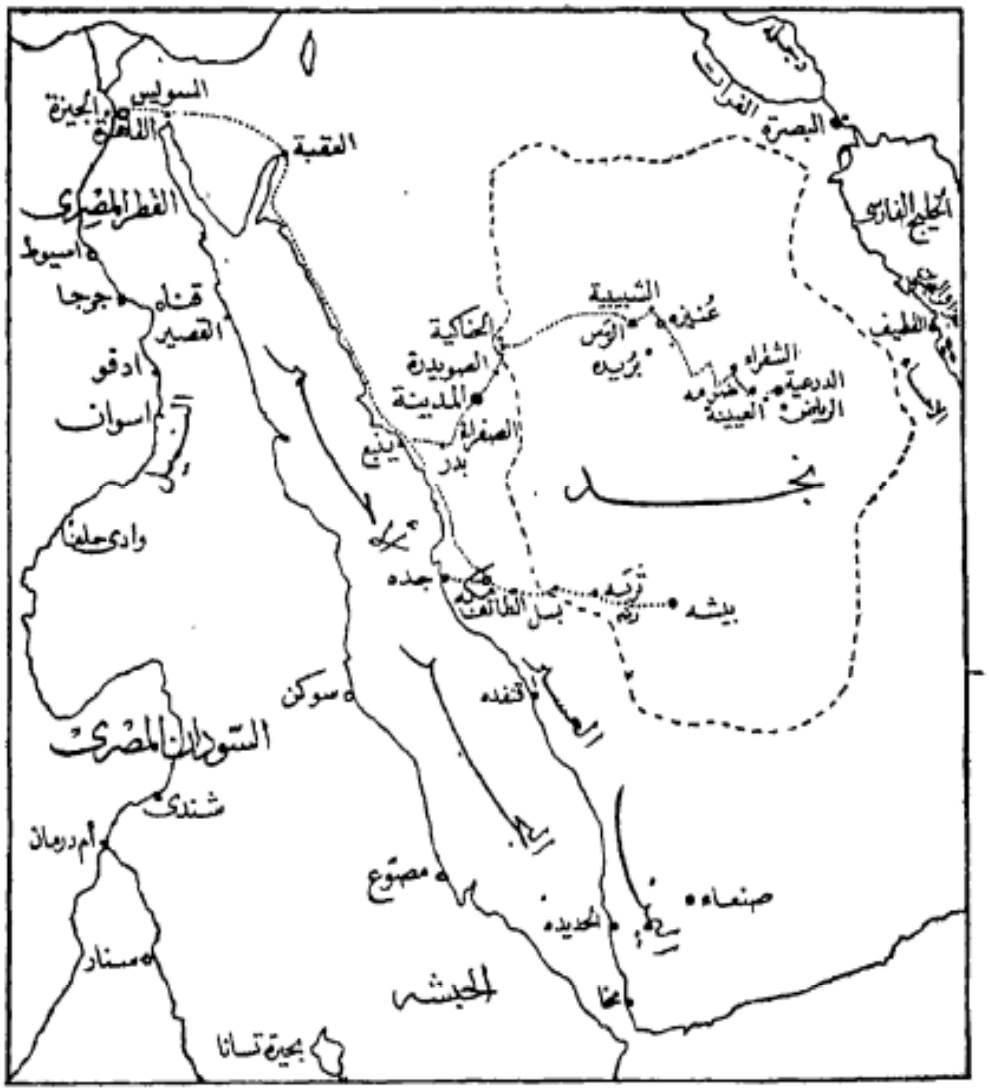

عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص145.

الملحق رقم3: امتداد الإدارة المصرية للسودان في عهد محمد علي.

شوقي الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ،1997 م، ص171.

الملحق رقم4: خريطة توضيحية لمعركة نافارين

الجمعية المليكة للدراسات التاريخية، المرجع السابق، ص273.

الملحق رقم5: خارطة تبين خط سير إبراهيم على سوريا

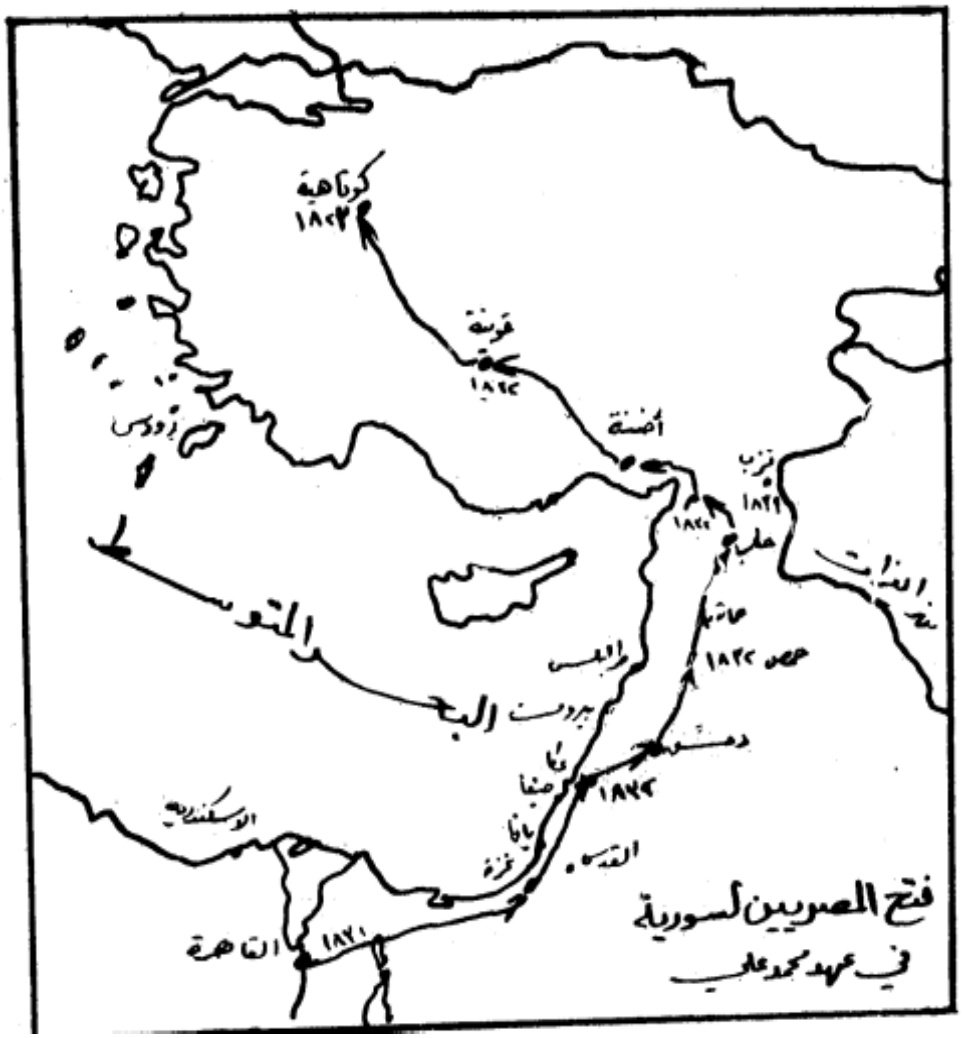

مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تح: أحمد غسان سبانو،[د ن]، [د م]، [د ت] ص6.

الملحق رقم6: خريطة تبين ميادين معارك الجيش المصري في الشام والأناضول1832-1839.

الجمعية الملكية للدارسات التاريخية، المرجع السابق، ص 283.

الملحق رقم 7: خريطة توضح توسعات محمد علي

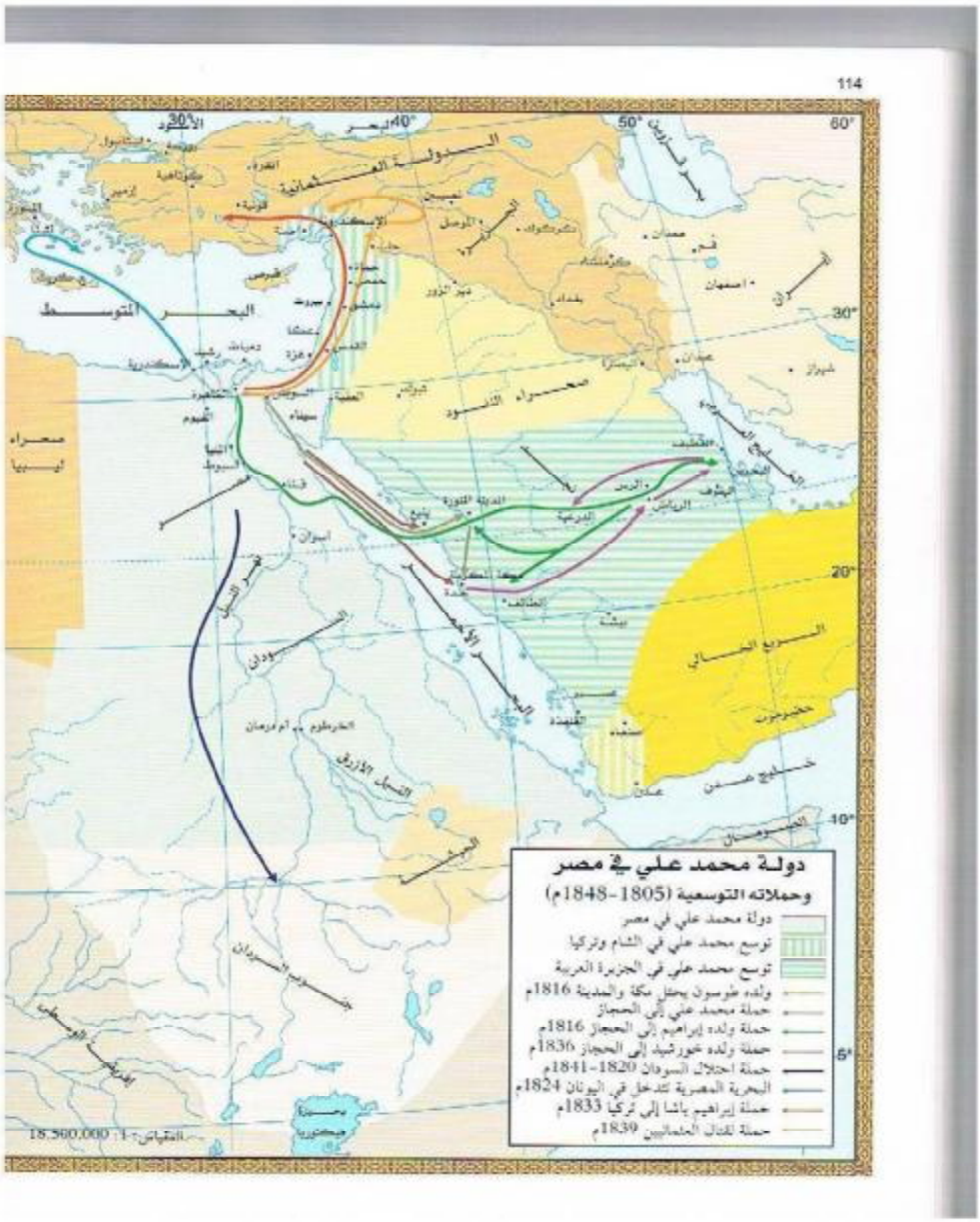

سيف الدين الكاتب، أطلس تاريخ الحضارات أطلس التاريخ الحديث، ط5، دار الشرق العربي، بيروت، 2012م، ص114.

الملحق رقم8: صورة توضيحية الباشا محمد علي

الياس الأيوبي، محمد علي سيرته وأعماله وآثاره، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص7.

الملحق رقم9: صورة السلطان محمود الثاني

إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص27.

الملحق رقم10: صورة توضيحية لسليمان باشا الفرنساوي

الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، ذكرى البطل الفاتح إبراهيم 1847- 1948، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1948 ص145.

الملحق رقم11: صورة توضيحية للبطل الفاتح إبراهيم

الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، المرجع السابق، ص 1.

الملحق رقم12: صورة توضيحية لرفاعة بك رافع الطهطاوي

عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص126.

الملحق رقم13: صورة توضيحية لحسن باشا

عمر طوسون، المصدر السابق، ص134.

الملحق رقم14 : صورة توضيحية لكلوت بك مؤسس كلية الطب بأبي زعبل

محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926م.

الملحق رقم15: نص معاهدة لندن 15 جويلية1840

لما طلب صاحب العظمة السلطان من أصحاب الجلالة ملكة بريطانيا العظمى وامبراطور النمسا وملك بروسيا وقيصر الروسيا تقديم المساعدة له فى المحنة التى وقع فيها على أثر سلوك محمد على العدائى نحوه ، تلك المحنة التى عرضت سلامة الدولة العثمانية وعرش الخلافة لخطر رأى أصحاب الجلالة مراعاة للود الذى يربط بينهم وبين السلطان ورغبته فى السلم وفى صيانة الدولة واتباعا لنص المذكرة المشتركة التى قدمت للباب العالى فى ٢٧ يوليه سنة ١٨٣٩ ومنعا لاهراق الدماء التى تسيل فى سوريا بين موظفى الباشا ورعية السلطان .

اتفق أصحاب الجلالة وعظمة السلطان على عقد المعاهدة الآتية :

١ — أن تعمل الدول المتفقة بالتضامن على إرغام محمد على على قبول الشروط التى اتفق عليها .

٢ — اذا رفض محمد على قبول الشروط التى سيعرضها عليه السلطان فعلى الدول بالاتفاق مع السلطان أن تأخذ التدابير الفعالة لتنفيذ شروط الاتفاق بواسطة قطع طريق الاتصال بين مصر وسوريا ومنع ارسال الأدوات والمؤن الحربية من البلدين . وتنفيذا لذلك تصدر ملكة بريطانيا وامبراطور النمسا الأوامر اللازمة لأساطيلهما بالبحر الأبيض المتوسط بمساعدة رعايا السلطان الذين يظهرون ولاءهم وطاعتهم .

٣ — اذا حاول محمد على بعد اصراره على رفض الشروط المقدمة ارسال قواته البرية أو البحرية نحو القسطنطينية فان الدول بواسطة سفرائها بالقسطنطينية تعمل بناء على طلب السلطان كل ما يصون البوغازات والاستانة وتعود القوات التى تستخدم لهذا الغرض الى بلادها عند ما يأمر السلطان .

٤ — يجب أن لا تعتبر هذه المساعدة المذكورة فى المادة السابقة بمثابة خرق للقاعدة القديمة القائلة باغلاق البوغازات أمام جميع السفن الحربية الخاصة بأية دولة وتصرح الدول والسلطان باحترام القاعدة القديمة ٩

بالمرستون نيومان بولوف برنوف شكيب

محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1، مطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، 1934، ص204

الملحق رقم16: قانون خاص ملحق بمعاهدة لندن

يعلن عظمة السلطان عزمه على منح محمد على الشروط الآتية :

١ — يعد السلطان بمنح محمد على وذريته من أولاده من بعده حكومة مصر .

وزيادة على ذلك يعد السلطان بمنح محمد على مدة حياته حكومة جنوب الشام حسب الحدود المبينة بعد مع اعطائه لقب والى عكا وحكومة الحصن . ويشترط السلطان لهذه المنح قبول محمد على لها فى مدى عشرة أيام بعد اعلانها اليه بواسطة مندوب عثمانى يرسله السلطان الى الاسكندرية ويشترط اصدار التعليمات اللازمة باخلاء شبه جزيرة العرب وجزيرة كريد واقليم اطه .

٢ — اذا رفض محمد على الشروط المقدمة بعد عشرة أيام فيسحب السلطان منحه حكومة عكا لمدة حياته ويوافق على منحه الحق الوراثى فى حكومة مصر بشرط قبولها فى مدة عشرة أيام أخر بالشروط المذكورة فى المادة السابقة .

٣ — تعيين ابطزية حسب الشروط التى سينتهى محمد على بقبولها .

٤ — وعلى كل حال يجب أن يرد محمد على الأسطول العثمانى بكل أدواته ويسلم للمندوب العثمانى الذى سيعرض عليه الشروط دون أن يكون لمحمد على حق فى أى طلب من الباب العالى بخصوص تكاليف الأسطول مدة وجوده بمصر .

٥ — جميع القوانين والمعاهدات النافذة فى الدولة تطبق على مصر وعكا كغيرها من أجزاء الدولة .

٦ — القوات البرية والبحرية التى تكون لباشا مصر وعكا تعتبر جزءا من قوات الدولة .

٧ — يعتبر هذا القانون كأنه متمم للمعاهدة وداخل فيها حرفا بحرف ٩

بالمرستون نيومان بولوف برنوف شكيب

محمد رفعت، المصدر السابق، ص205.

الملحق رقم17: بيان قوة الجيش النظامي المصري

رقم الجزء	المركز	القطر	قوة الألاى ضباط وصف ضباط وعساكر
		المشـــــاة	
١ حرس	عينتاب	سورية	٣٠٤٨
٢ «	مرعش	«	٢٦٤٥
٣ «	حلب	«	٢٤٣٥
١	سنار	السودان	٤٥٤٧
٢	عينتاب	سورية	٢٢٥١
٣	اليمن	جزيرة العرب	١٥٢٦
٤	مرعش	سورية	٢٥٩٣
٥	أذنه	«	٢٦٢٩
٦	كلس	«	٢٣٦٢
٧	الحجاز	جزيرة العرب	٢١٩٢
٨	سنار	السودان	٣٣٩٦
٩	حلب	سورية	٢٣٠٤
١٠	«	«	٢٠٥٤
١١	أورفه	«	٢٣٣٨
١٢	عينتاب	«	٢٣٢٦
١٣	الحجاز	جزيرة العرب	١٢٢٥
١٤	حلب	سورية	١٩٨٨
١٥	الدرعية	جزيرة العرب	٢٥٥٥
١٦	كندية	« كريد	٣١٤٩
١٧	أورفه	سورية	٢٣٦٩
	نقـــل بعـــده		٤٩٩٣٢

رقم الجزء	المركز	القطر	قوة الألاى ضباط وصف ضباط وعساكر
		ماقبـــله	٤٩٩٣٢
١٨	عكا	سورية	٢٠٤٩
١٩	الحجاز	جزيرة العرب	٢٣٤٩
٢٠	اليمن	«	٢٦٧٧
٢١	الحجاز	«	٢٣٦٣
٢٢	أورفه	سورية	٢٢١٢
٢٣	ينبع	جزيرة العرب	٢٣٤٢
٢٤	أنطاكية	سورية	٣١٣١
٢٥	القدس	«	١٧٥٥
٢٦	القاهرة	مصر	٣٣١٨
٢٧	الجديدة	«	٢١٢٩
٢٨	«	«	٢٤٤٦
٢٩	أذنة	سورية	٣١٧٢
٣٠	حماة	«	٢٩٢٥
٣١	حلب	«	٢٤٠١
٣٢	القاهرة	مصر	٣٣١٨
٣٣	اسكندرية	«	٢٦٠٤
٣٤	كلس	سورية	٢٥٦٤
٣٥	القاهرة	مصر	٣٣١٢
	الجمـــلة		٩٦٩٩٩

عمر طوسون، الجيش المصري والبحري، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م، ص58.

الملحق رقم18: (تابع) بيان قوة الجيش النظامي المصري

نمرة الكتيبة	المركز	القطر	قوة الألاى ضباط وصف ضباط وعساكر
	الفرسان		
١ حرس	أطاكية	سورية	٧٩٦
٢ «	بيسان	«	٨٤٤
١	أورفه	«	٨٢٥
٢	زنبه	«	٨٣٠
٣	القاهرة	مصر	٨٤٧
٤	أذنه	سورية	٦٧٨
٥	القاهرة	مصر	٨٣٢
٦	دمشق	سورية	٧٧٠
	نقل بعده		٦٤٢٢
	المدفعية		
١ حرس	حماة	سورية	١٣٧٢
٢ «	اسكندرية	مصر	٢٣٤٩
٣ «	حلب	سورية	١٩٤٩
١	حمص	«	٩٨٢
٢	دمشق	«	١٠٠٧
	نقل بعده		٧٦٥٩
	المهندسون		
١ أورطة	عكا	سورية	٨١٢
	إدلب	«	٧٥٨
	نقل بعده		١٥٧٠

نمرة الكتيبة	المركز	القطر	قوة الألاى ضباط وصف ضباط وعساكر
		ما قبله	٦٤٢٢
٧	طرسوس	سورية	٧٤٢
٨	دمشق	«	٧١٢
٩	اسكندرية	مصر	٨١٦
١٠	عكا	سورية	٧٦٨
١١	كلس	«	٧٥٦
١٢	طرسوس	«	٦٦٢
١٣	أورفه	«	٨٠٦
	الجملة		١١٦٨٤
		ما قبله	٧٦٥٩
٣	القاهرة	مصر	٣٢٢٥
أورطة	الحجاز	جزيرة العرب	٣٧٩
٤ بلوكات	عكا	سورية	٣٣٧
	الجملة		١١٦٠٠
		ما قبله	١٥٧٠
أورطة	اسكندرية	مصر	٨٠٨
«	القاهرة	«	٥٦٤
	الجملة		٢٩٤٢

عمر طوسون، المصدر السابق، ص59.

قائمة المصادر

والمراجع

المصـــادر

1 -أرسلان شكيب، الدولة العثمانية، تح وتع:حسن السماحي سويدان، دار أبن كثير، بيروت، 2001م.

2 -أصاف عزتلو يوسف ، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، هنداوي، القاهرة [د ت].

3 -بشير عثمان بن عبد الله، عنوان المجد في تاريخ نجد، تع وتح: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل شيخ ،ج2، ط4، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1982م.

4 -الجبرتي عبد الرحمن، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، ج4،

5 -الرافعي عبد الرحمن، عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989م.

6 -رفعت محمد، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، ج1، الأميرية ببولاق، القاهرة، 1934م.

7 -الريحاني أمين، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط1، بيروت، 1928م.

8 -المحامي محمد فريد، الدولة العلية العثمانية، تح:إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، 1981م.

9 -فهمي ذكي ، صفوة العصر في تاريخ ومشاهير رجال مصر، مكتبة دمدبولي، القاهرة، 1995م.

10 -كرد علي محمد خطط الشام، ج3، ط3، مكتبة النوري، دمشق، 1983م

11 -مؤلف مجهول،مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا،تح: أحمد غسان سبانو،[د ن]،[د م] [د ت].

المـــراجع

1 -أبو زيدون وديع، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، ط11، الأهلية للنشر والتوزيع عمان، 2003م.

2 -أبو علية عبد الفتاح حسن، تاريخ الدولة السعودية الثانية1256هـ-1309هـ/1840م-1891م ط4، دار المريخ ، الرياض، 1991م.

3 -أحمد درويش مديحة، تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين، ط1، دار الشروق جدة، 1980م.

4 -ألياس الأيوبي، محمد علي سيرته واعماله وآثاره، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

5 -أنطونيوس جورج، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد،إحسان عباس، ط8 دار العلم للملايين، بيروت، 1987.

6 -بداوي جمال، محمد علي وأولاده، مكتبة الأسرة،[د م]، 1999م.

7 -بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، 2000م.

8 -بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، تر:أمين فارس، الأنيس للطباعة، الجزائر، 2011م.
9 -برون جفري، تاريخ أوربا الحديث، تر:علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، [د م]، 2006م.
10 -بيومي زكريا سليمان، العرب بين القومية الإسلام قراءة إسلامية في التاريخ الحديث والمعاصر،ط1دارالقاهرة، 2002م.
11 -الجمل شوقي،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ مصر والسودان المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، 1997م.
12 -الحسن عيسى، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، ط1، دار الأهلية عمان، 2008م.
13 -حسين محمد عبد الرحمن، نضال شعب مصر 1798م-1956م، منشأة المعارف، الإسكندرية [د ت].
14 -حلاق حسن، دراسات في العلاقات العربية-العربية صفحات من تاريخ الوطن العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 2010م.
15 -حلمي سهير، أسرة محمد علي، مكتبة الأسرة، [د م]، 2004م.
16 -السروجي محمد محمود، دراسات في تاريخ مصر والسودان المعاصر، [دن]،[د م]،1998م.
17 -سوادي هاشم هشام، تاريخ العرب الحديث 1516م-1918م من الفتح العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1، دار الفكر، عمان،2010م.
18 -سيار جميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1997م.
19 -شارو محمد عصام، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، دار التضامن، لبنان 1992م.
20 -صبري محمد، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1926م.
21 -الصلابي علي محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، [د م]،2001م.
22 -طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب علي الخلافة، ط2، دار النفائس بيروت، 2008م.
23 -عاصي حسن، اعلام مؤرخي العرب والأعلام (عبد الرحمن الجبرتي) مؤرخ الصدام بين الشرق والغرب في العصر الحديث، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م.
24 -عزت أحمد عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، [د ت].
25 -عمر عبد العزيز عمر، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، [د م]، 2000 م.

26 -حمر عبد العزيز عمر، تاريخ لبنان الحديث 1516- 1915م، ط1، دار النهضة العربية، بيروت 2004م.
27 -حمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي1516م-1922م، دار النهضة العربية، بيروت، [د ت].
28 -خربال محمد شفيق، محمد علي الكبير، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.
29 -فرج السيد، حروب محمد علي ، مكتبة السادة الأشراف، [د م]، 1999م.
30 -قدوره زاهية، تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، [د ت].
31 -قدوره زاهية، شبه الجزيرة العربية(كيانها السياسي)، دار النهضة العربية، بيروت، [د ت].
32 -لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط9، دار الفارابي، بيروت، 2007م.
33 -لمحافظة علي، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة1798م-1914م(الإتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية)، الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت، 1983م.
34 -لمقدم محمد إسماعيل، خواطر حول الوهابيين، ط1، دار التوحيد للتراث، الإسكندرية، 2008م.
35 -لناطور شحادة، تاريخ العرب الحديث، ط1، أربد: دار الأمل، 1992م.
36 -نخلة محمد عرابي، تاريخ العرب الحديث، ط1، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريد، القاهرة 2010م.
37 -نمير طه ياسين، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط1، دار الفكر ، عمان، 2010م.
38 -لهاشمي عبد المنعم، الخلافة العثمانية، ط1، دار ابن الحزم، بيروت، 2004م.
39 -هريدي صلاح أحمد، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر1220هـ/1805م - 1300هـ/1882م، ج2، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، [د م]، 2000م.
40 -ياغي أحمد إسماعيل، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997م.
41 -يانج جورج، تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تع:علي أحمد شكري، ط2 مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992م.

الرسائل الجامعية

1 -أبو قايد أحلام بنت علي، الدولة السعودية الأولى من خلال كتابات الرحلة والمستشرقين البريطانيين عرض وتحليل ونقد1157هـ-1233هـ/1744-1818م، رسالة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، أميرة بنت علي وصفي مداح، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2009-2010م.

2 -بن عراب كلثوم، خطاب الإصلاح والنهضة في القرن التاسع عشر(حمدان خوجة، رفاعة الطهطاوي أ نموذجا)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد القادر قسنطينة، 2002-2003م.

3 -جهان عبد الرحيم، الآثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام، رسالة دكتوراه، دهيش عبد اللطيف، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية ، 2001.

الموسوعات والأطالس

1 -براج محمد، الموسوعة الثقافية التاريخية والأثرية والحضارية حركات النهضة وبناء الدولة الحديثة، دار الفكر القاهرة، 2008م.

2 -برناديت غانم، قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم السعودية- الأمارات العربية المتحدة، Edito creps،[د م]،[د ت].

3 -الزيدي مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني، دار أسامة، عمان، 2003م.

4 -شاكر محمود، موسوعة التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ج8، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م.

5 -عجيل أمل، قصة وتاريخ الحضارة العربية بين الأمس واليوم ليبيا- السودان- المغرب، Edito creps [د م]، [د ت].

6 -قطش الهادي، عبد الرحمن إدريس، أطلس الجزائر والعالم طبيعيا-بشريا-اقتصاديا- سياسيا، دار الهدى الجزائر، 2013م.

7 -الكاتب سيف الدين، أطلس تاريخ الحضارات أطلس التاريخ الحديث، ط5، دار الشروق العربي، بيروت 2012م.

8 -الكيلالي عبد الوهاب، الموسوعة السياسية من ا إلى ث، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت [د ت]

مجلات

1 -علي بلال هدى، الصراع الدولي على بلاد الشام والموقف الدولي منه 1830-1841م، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 10، العدد4،

فهارس

-أ-

إبراهيم أغا:5

إبراهيم يكن:26

إبراهيم:6، 25، 26، 27، 29، 31، 32، 33، 35، 36، 37، 38، 39،

أحمد آل خليفة:27

أحمد باشا:7، 38

أحمد بك:28

اسكندر الأول:30

إسماعيل:6، 27، 28، 29، 31

أمين بك:13

-ب-

بالمرستون:34، 45، 46، 48، 50

البرديسي:7، 9

بركر:45

بروكش أوستن:49

-ت-

تيبرس:52

تركي:22، 26، 27

-ج-

الجبرتي:9، 10، 16، 19، 23

جرجيس الجوهري:12

جورج انطونيوس:34، 49

جوزيف أنتلم سيف:14

جيسيب بوكشي:18

جرانفيل:45

-ح-

حافظ باشا:38

حسن باشا:31، 35، 36

حسن بك:31

حسن كريت:10

-خ-

خالد بن سعود:26

خسروا باشا:7، 8، 38

خورشيد باشا:7، 8، 26، 27

-د-

دروفتي:35

-ر-

رشيد باشا:8، 36

-س-

ساد لير:25

ستراتفورد:45

سعود الكبير:22

سليم الثالث:9

سليمان باشا الكبير:23

سليمان بك الفرنساوي:31، 33

سيريزي:15

سيلانيك:9

-ش-

الشريف عون:26

شرويروك:10

الشرقاوي:8
الشوربجي:5، 6

-ط-

طاهر باشا:7
الطهطاوي:8، 17
طوسون:23، 24، 27

-ع-

عبد العزيز بن محمد:
عبد المجيد :38
عثمان باشا:35
عثمان نور الدين أفندي:16
عثمان البرديسي:7
عمر مكرم:8، 10، 11، 19
عبد الله بن سعود:22، 25
عبد الله: 22 ،23، 24، 25، 35

-غ-

غالب سعد:24

-ف-

فريزر:10، 11
فهد بن فصيفان:26
فيصل:22، 26، 27، 52

-ك-

كدرنجتون:33، 45
كلوت بك:34

-ل-

ليون:16

-م-

محمد المحروقي:12
محمد بك الألفي:7، 9
محمد بن حسن:25
محمد بن عبد الوهاب:22
محمد علي:5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16،17، 18، 19، 20، 22، 21، 22، 23، 42، 25، 26، 27، 28، 30، 31، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 41، 42، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55
محمد عمار:8
محمود الثاني:22، 23، 25، 31، 32، 33، 38، 39، 41، 43
مسيت:10
المسيو كايو:29
المسيوليون:5، 6
مشاري:22
المقدوم مسلم:25

-ن-

نابليون:7، 9
نابير:48
نصر الدين:28
نقولا الأول:48
نمر:28، 29

-هـ-

هيدن:33

-و-

وليم ستيوارت:10.

مترنيخ:48، 49 **-ي-** يحي سليمان:21	

-أ-

أبوقير:9.
أبي زعبل: 16.
أبي مندور:10.
أثينا:32.
الإحساء:26، 27، 39، 44.
أدرنة: 36،37، 43، 47، 51.
إسطنبول:24، 25،36، 39، 48.
الإسكندرية:
7،،38،31،19،،16،15،13،،10،9،8،39
44،45، 49، 54.
أسوان: 14،15، 28.
أسيا الصغرى: 15،43.
أسيوط:11.
الأفلاق:32، 33.
أكروبول:32.
أم درمان:28.
إنجلترا:27، 32، 34، 36،44، 45، 48، 49،
50، 51، 52، 55 .
أودسيا:30.
أوربا 7، 15.
أورفا:39.
إيطاليا: 16.

-ب-

باره:29.
البحر الأحمر: 28،30 ، 44.
البحر المتوسط: 28، 35، 44، 46، 47، 48، 51.
البحرين:26، 27، 44.
بحيرة أدكو:10.
بربر:28، 30.
بروسيا: 51.
بريدة:26.
بريطانيا:7، 27، 43، 44، 45، 46،48، 49،
50، 51.
البغدان:32، 33.
البوسفور:36.
بومباي:44.
بيرجك:38.

-ت-

تربة:24.
تربيولتسا:32.
تركيا: 42، 48، 50.
تهامة:23، 26.

-ث-

الثاكة:30.

-ج-

جبل طوروس:36، 38، 43.

جدة:24، 25.

الجزائر:47.

الجزيرة العربية: 22، 24، 26، 27، 28، 39، 41، 42، 44، 49، 51، 54.

جزيرة بيلوبونس الجنوبية:31.

جزيرة رودس:31، 38.

جزيرة صقلية:10

جلفاية:28.

الجيزة:8.

الحجاز: 23، 24، 26، 29.

-ح-

الحبراء:25، 26.

الحديدة:26.

حلب.35، 36، 38.

حماد:10، 19.

حمص:26.

الحناكية:24، 25.

-خ-

الخرطوم: 28، 29، 30.

الخليج العربي:44 ،45، 46.

-د-

دارفور:29، 30.

الدانوب:36.

دجلة:46.

الدردنيل:31.

الدرعية:22، 24، 25، 26، 39.

دلم:27.

دمشق:36، 53.

دمياط:10، 13، 15.

دنقلة:10، 28، 30.

-ر-

الرافدين:46.

الرحمانية:

الرس: 24. 25، 24.

رشيد:10، 13، 14، 15، 19.

الرها:39.

روسيا:9، 30، 31، 32، 33، 36، 43، 47، 48،49، 50، 51، 54 ،55.

الرياض:22.

-س-

الساحل اليمني:26

ساحل عمان:39.

سدير:.26.

السعودية:22، 26، 27، 39.

سنار:30،29، 54.

سواكن:30.
السودان:22، 27، 28، 29، 30، 35، 49.
سوريا: 12،
السويس:5، 13، 19، 45.
سيواس:38.

-ش-

شبرا:16.
الشايقية:28، 29.
شقراء: 25.
شندى: 28، 29.
الشام:22، 23، 33، 34، 35، 36، 37، 39، 42، 43، 45، 46، 49 ، 52، 53، 54.

-ص-

الصرب: 32 ،33.
الصعيد:8، 9، 23.

-ط-

الطائف:24.
طرابلس:36.
طره:15.

-ع-

عدن:27.
العراق:42، 45، 49.
عكا:36، 42، 52، 53.
عمان:44.
عنيزة:25، 26.

-غ-

غزة:35 ، 53.

-ف-

فازوغلي:29، 30.
فتوة:18.
فتوح:28.
فرنسا:7، 9، 16، 17، 27، 31، 32، 33، 35، 36، 38، 39، 43، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53 ،55.
فلسطين:42.
فينا:50.

-ق-

القاهرة: 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 13، 15، 16، 19، 24، 25، 26، 44، 46، 47، 48، 52.
القسطنطينية:52، 53.
قنفذة:24.
قوله:5.

مصوغ:30.
مضيق بيلان:36.
مكة:24، 26.
مودون:31.
الموره:30، 31، 33، 39، 42، 45،
موؤن:33.
ميسولونجي:32.

قونية:36، 43.

-ك-

كردفان:29، ،43، 47، 53.
كريت:31، 33، 42، 50.
كسلة:30.
كلاماتا:32.
كوتاهية:36، 37، 43، 47.
كورون:32، 33.

-ل-

لندن:41، 44، 51، 54، 50.

-م-

مالطا:18.
المدينة المنورة:23، 24، 25.
المحيط الهندي:44.
مرعش:39.

المشرق العربي:28.
مصر:5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 19، 30، 31، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 41،42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54.

-ن-

ناروين:32، 33.
نافارين:33.
نجد:22، 23، 24، 25، 26، 27، 41، 42، 44، 45، 49، 54.
النوبة:54.

النيل:28، 29، 42.

النمسا:48، 49، 51، 54.

نزيب:49، 54.

نصيبين:38، 41، 43، 47، 48.

- هـ -

الهند:44،45 ، 46

-و-

وادي حيفا:35.

وادي الصفراء:23،24

ودمدني:29

-ي-

اليمن:26، 39.

يافا:35.

اليونان:22، 30، 31، 33، 34، 39، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 54.

ينبع:23، 24، 25.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول: محمد علي وبناء دولة مصر الحديثة	20-5
المبحث الأول:تولي محمد علي الحكم في مصر	5
1 -نشأة محمد علي	6
2 -وصول محمد علي السلطة	6
المبحث الثاني:توطيد محمد علي الحكم بمصر	9
1 -تصدي محمد علي للحملة الإنجليزية	9
2 -التخلص من الزعامة الشعبية	11
3 -القضاء على المماليك	12
المبحث الثالث:إصلاحات محمد علي	13
1 -الإصلاحات الإدارية	13
2 -الإصلاحات العسكرية	14
3 -الإصلاحات الثقافية	16
4 -الإصلاحات الاقتصادية	17
الفصل الثاني: السياسة التوسعية لمحمد علي	39-21
المبحث الأول: توسع محمد علي في الجزيرة العربية1811-1839	22
1 -أسباب التوسع	22
2 -مراحل التوسع	22
المبحث الثاني:توسع محمد علي في السودان الشرقي1820	27
1 -أسباب التوسع	27
2 -بداية التوسع	28
المبحث الثالث: توسع محمد علي في اليونان1821	30
1 -أوضاع اليونان قبيل التوسع	30

2 -أسباب التوسع	31
3 -بداية التوسع	31
المبحث الرابع: توسع محمد علي في الشام 1831- 1840	34
1 -أسباب التوسع	34
2 -مراحل التوسع	35
الفصل الثالث: ردود الفعل المحلية والدولية	55-40
المبحث الأول: موقف الدولة العثمانية	41
المبحث الثاني: مواقف الدول الأوروبية	43
المبحث الثالث: التسوية الدولية وانسحاب محمد علي	50
خاتمة	56
ملاحق	59
قائمة المصادر والمراجع	78
فهارس	83
فهرس المحتويات	92